روايات أجنبية

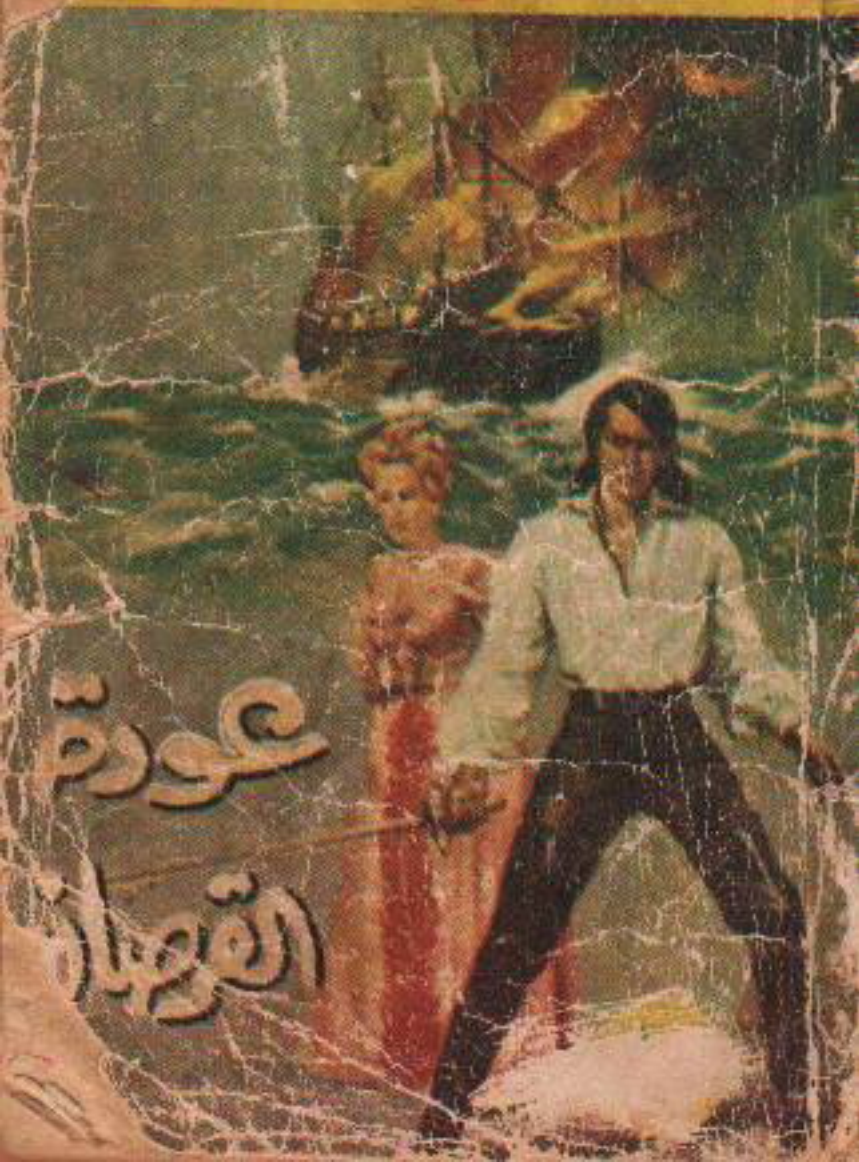

عودة القرصان

روايات الجيب

عودة القرصان

تأليف الكاتب الانجليزى

رفاييل ساباتينى

ترجمة

عمر عبد العزيز أمين

www.liilas.com
منتديات ليلاس
florist

مطابع محرم - القاهرة
٩٣٥ شارع كورنيش النيل

الفصل الاول

القنبلة

تخضع مصائر الناس فى بعض الاحيان لصادفات تافهة ، لا وزن لها ، وقد يتغير حظ الانسان ، ويتبدل مصيره ، لالشىء الا أن الريح هبت فى اتجاه معين ، فى ساعة معينة .. ومن المحقق أن الريح التى هبت على خليج (كايونا) فى أحد أيام شهر اكتوبر .. كان لها من الاثر فى حياة الكابتن (ايسترلنج) أكثر مما كان يتوقع حين ارغمته هذه الريح على الالتجاء بسفينته (افنتير) الى ميناء تورتوجا ..

كان (ايسترلنج) عائدا لتوه من احدى مغامراته .. فقد سطا على احدى السفن الهولندية فى عرض المحيط .. وجردها من حمولتها من (الكاكاو) ..

على أن انتصاره فى هذه المغامرة لم يكسبه المجد الذى اليه يتطلع ، فمقياس المجد فى نظره هو الغنيمة التى يستولى عليها .. ولم تكن شحنة (الكاكاو) من الغنائم التى تشرفه .. وتعلى قدره فى نظر زملائه قراصنة البحار الجنوبية .. ولو قد علم ان السفينة الهولندية لا تحمل غير تلك الشحنة من الكاكاو .. اذن ما فكر فى أن يعترض طريقها .. ويسطو عليها ، ولكنه لم يجد بدا عندما استوقفها فى عرض المحيط وارغمها على التسليم ، من أن يستولى على حمولتها ارضاءا لاعوانه .. وقد كان لابد له أن يرضيهم .. حتى لا يفقدهم .. كما فقد أعوانه السابقين الذين هجروه لقلة غنائمه .. وسوء حظه فى الشهور الاخيرة ..

وهكذا اضطر ايسترلنج - تحت ضغط العاصفة أن

بلجا بسفينته (افنتير) الى ميناء (تورتوجا) وهو ميناء اكسبته الجبال التي تحيط به ٠٠ مناعة طبيعيـــة ٠٠ وانتشرت الصخور الضخمة في مدخله ٠٠ حتى صار يتعذر الا على الربان الماهر أن يلجه دون أن تتهشم سفينته ٠٠

كان ميناء (تورتوجا) من الموانى الفرنسية بالاسم فقط ٠٠ ولكنه كان في الواقع ملاذا للقراصنة في البحار الجنوبية ٠٠ وقد طاب للحكومة الفرنسية أن تظل القراصنة بحمايتها في هذا الميناء ٠ لكي يخدموها بدورهم في النضال اقامم بينها وبين أسبانيا ٠٠ وتكي تستعين بهم ـ عند اللزوم ـ في دفع عدوان الاسبانيين على جزائر الهند الغربية التابعة لفرنسا ٠

ولشد ما كانت دهشة الكابتن (ايسترلنج) ٠٠ حين تهادى بسفينته (افنتير) الى داخل الميناء ٠٠ فوقع بصره بالقرب من الشاطىء على سفينة حمراء عظيمة تنظر الى السفن الاخرى كما تنظر البجعة الى الاوز الصغير ٠ وقرأ على جدارها اسم (الميرانتى) بحروف من ذهب ٠٠

كان يعلم أن السفينة (الميرانتى) هى احدى قطع الاسطول الاسبانى ٠٠ بل وعن اقوى قطع هـذا الاسطول ٠٠ فما ذا جاء بها الآن الى وكر القرصان فى (تورتوجا) ؟

ولم يستطع كتمان اعجابه ٠٠ حين راى مظهر قوتها وجبروتها ٠٠ والاربعين مدفعا التى تطل من جوانبها ٠٠

كان اول مافعله (ايسترلنج) حين وضع قدمه على الشاطىء بعد أن القى مراسى سفينته على مقـربة من (الميرانتى) ، انه سعى لاستجلاء هذا السر ، ومعرفة الاسباب التى حملت السفينة الاسبانية الكبيرة على الالتجاء الى (تورتوجا) ٠٠ ملجأ القراصنة ٠ وخصوص

البحر ٠

وارغل ايسترلنج فى جوف (تورتوجا) ٠٠ ووصل الى سوق المدينة ٠

وكانت السوق أشبه ببرج بابل ٠٠ ففيها الانجليزى والفرنسى ٠٠ والهولاندى وفيها الزنجى والهندى ٠ وجميعهم من نصوص البحر ٠٠ أو ممن يتجرون باسلاب اللصوص ٠

وما لبث ايسترلنج أن التقى بصديق له عليـــم بأنباء (تورتوجا) وسفنها ٠٠ وقراصـــنتها ٠ فحدثه عن (الميرانتى) أعجب حديث سمعه منذ قبل له فى احد الايام ٠٠ ان الكابتن بيتر بلود ـ القرصان المشهور الذى القى الذعر فى البحار الجنوبية ٠ ودوخ مطارديه بين أسبانيين وفرنسيين وانجليـــز ـ قـــد عيـــن حاكما ، لجمايكا ، ٠

قال له هذا الصديق أن الكابتن بلود قد هجر المنصب الرفيع الذى اسندته اليه الحكومة البريطانية مكافأة له على دفاعه المجيد عن جمايكا ٠ وانه مل الحياة الهادئة التى أخلد اليها ارضاء لزوجته (ارابيلا) ٠ فلما ماتت زوجته فى وباء التيفوس الذى اكتسح (جمايكا) فى العام السابق ٠٠ وعزت عليه السلوى طلق ، الحياة الهادئة الوادعة ٠ واقبل يلتمس النسيان فى المغامرات التى اكسبته شهرته الواسعة ٠

وفى اليوم الذى قرر فيه اعتزال عمله فى (جمايكا) كانت السفينة الميرانتى راسية فى ميناء (بورت رويال) بجمايكا ٠ فانتهز فرصة افتراعا من بحارتها ، وكانوا وقتئذ على الشاطىء ، فاستولى على السفينة مع نفر من أعوانه الذين ساهموا معه فى أكثر مغامراته منذ أبعد من انجلترا وجاء بها الى (تورتوجا) لتغيير لـونها ٠٠

واستبدال اسمها ..

وسأل ايسترلنج صاحبه عن عدد اعوان الكابتن بلود ، فكان الجواب أن عددهم لا يربى على العشرين ..

وسمع ايسترلنج هذا الجواب ، وأرسل بصره الى الميناء حيث كان النسيم يعبث بأشرعة (الميرانتى) .. ولمعت عيناه ..

كان يعرف قصة بيتر بلود .. ذلك الطبيب الايرلندى الذى اتهم فى انجلترا بالخيانة العظمى .. وحكم عليه بالاعدام .. ثم استبدل الاعدام بالابعاد .. وأرسل الى (بربادوس) .. حيث بيع كالعبيد .. وهناك انتهز احدى الفرص .. وفر مع زملائه بالسفينة ، شتكو لاجاس ، .. التى صارت فيما بعد نواة لاعظم اسطول للقراصنة عرف فى ذلك العهد ..

وقد سمع ايسترلنج عن الكثير من مغامرات الكابتن بلود .. ولكنه ظل ينكر على هذا المغامر اكثر الاعمال الجريئة التى نسبت اليه .. ولم يشأ أن يصدق أن رجلا يحترف صناعة الطب .. يستطيع أن يستبدل المبضع بالسيف والمدفع .. بمثل هذه السهولة ..

وقد خطر للكابتن ايسترلنج وهو ينظر الى الميرانتى .. ان الكابتن بلود ربما كان زاهدا فى هذه السفينة العظيمة التى ليس لديه من الاعوان العدد الكافى لتسييرها .. وانه اى الكابتن بلود ـ ربما رحب بمبلغ من المال يستطيع به أن يبتاع سفينة أصغر حجما ، تسعفه فى مغامراته .. سيما وان بلود لابد أن يكون قد خرج من (جمايكا) وهو خاوى الوفاض بعد أن وزع غنائمه على أعوانه منذ ثلاث سنوات غداة تعيينه حاكما لجمايكا .

وملأ هذا الخاطر رأس الكابتن « ايسترلنج » ..

فقصد لتوه الى منزل مسيو « دوجيرون » ..

ومسيو (دوجيرون) هو حاكم تورتوجا .. وممثل شركة الهند الغربية ، وهو رجل قصير القامة صغير الجسم .. يمتاز بأساليبه الخاصة فى مضاعفة أرباح الشركة التى يمثلها ..

وشعر ايسترلنج فى حضرة الحاكم بان هذا الرجل قد نقل الى « تورتوجا » جانبا من أناقة فرساى ..

وقدم اليه مسيو دوجيرون مقعدا ، أصغى اليه فى أدب ، ثم قال فى أدب كذلك أنه لايهمه أن يعرف مصدر الكاكاو ، ولكن المبلغ الزهيد الذى عرضه ثمنا لشحنة الكاكاو لم يترك مجالا للشك فى أنه يعرف مصدره ، ويعرف كيف استولى عليه محدثه ..

كان المبلغ الذى عرضه لا يكاد يوازى نصف ثمن الشحنة ..

لم يكن ثمة شك فى ان الرجل يخلص لشركة الهند الغربية الفرنسية كل الاخلاص ..

وعبثا حاول ايسترلنج أن يساوم .. ثم قبل الثمن كارها .. وانتقل الى الموضوع الذى يهمه اكثر من سواه .. فقال أنه يرغب فى ابتياع السفينة الاسبانية العظيمة الراسية فى الميناء ، وسأل مسيو دوجيرون هل يقبل الوساطة فى ابتياعها له من الكابتن بلود ؟

وفكر مسيو دوجيرون طويلا قبل أن يجيب ، ثم قال :

ـ من المحتمل الا يكون الكابتن بلود راغبا فى بيعها ..

ـ من المحتمل الا يكون راغبا فى بيعها ؟ وما حاجته بالله الى مثل هذه السفينة العظيمة .. وأعوانه يعدون على اصابع اليد ،

فأجاب دوجيرون :

ـ قلت لك ان ذلك محتمل ولكنك تستطيع أن تعود الى

في المساء لتتلقى الجواب ٠

ولما عدا ايسترلنج في المساء ليتلقى الجواب ٠٠ لم يجد دوجيرون بمفرده ٠ بل وجد معه رجلا طويل القامة حليق الوجه ٠٠ ذا عينين زرقاوين نفاذتين ٠ وشعر أسود يتدلى على كتفيه ٠

كان هذا الرجل يناهز الخامسة والثلاثين من العمر ٠ ويرتدي ثوبا أنيقا موشى بالذهب ٠

وقد قدم دوجيرن زميله بقوله :

– هو ذا مستر بلود يا كابتن ايسترلنج ٠٠ انه سيجيبك بنفسه ٠٠

ودهش ايسترلنج ٠

كانت تلك أول مرة يرى فيها الكابتن بلود ٠ وقد وجد أن ظواهر الرجل تختلف عما كان يتوقع ٠ وتتعارض مع كل ما سمعه عنه ٠

وانحنى الكابتن بلود قامته ببساطة ٠

هتف ايسترلنج :

– آه ٠٠ (الدكتور) بلود !!

وضحك بغير سبب ظاهر ٠

وتكلم بلود بصوت هادىء رنان ٠ وبلهجة ايرلندية رقيقة ٠ ولكن كلامه كان أبعد من أن يسر ايسترلنج ٠ لانه تضمن الرفض ٠

ونهض ايسترلنج واقفا ٠٠ وساله في فحة عن الاسباب التي تحمله على الاحتفاظ بسفينة عظيمة قضى بها شهرا في ميناء تورتوجا ، دون أن يتمكن من جمع عدد من الرجال يكفي لتسييرها ٠

فأجاب بلود بذلك الصوت الهادىء الذي لم يزد ايسترلنج الا احتقارا له ٠ انه حر في التصرف بسفينته كما يشاء ويتزويدها بالرجال متى شاء ٠٠ وأردف :

– ولا شك انك مخطىء في تقدير قوة رجالي يا كابتن ايسترلنج ٠٠ فانهم على الرغم من قلة عددهم ٠ قد اثبتوا في حوادث لا يزال يرن صداها في البحار الجنوبية انهم من أقدر البحارة الذين اعتلوا ظهور السفن ٠

فقلب ايسترلنج شفته باحتقار وقال :

– سيظل رجالك من أقدر البحارة الذين اعتلوا ظهور السفن ، حتى يقابلهم الغريم الذي يظهرك على حقيقتهم ، ويقنعك بأنك أحطت نفسك بعدد من (الدجاج) لا يقوى على الدفاع عن قارب صغير ٠٠

فلم يفقد بلود هدوءه وثباته ، وقال بذلك الصوت الهادىء الرنان :

– أن نقص عدد الرجال في سفينتي ٠٠ تعوضه وفرة المدافع ٠٠ والذخيرة ٠٠ وأنا أعرف عند الضرورة كيف استخدم ما عندي من الاسلحة بأقل عدد ممكن من الرجال ٠٠

انني خدمت تحت امرة (دي ريتر) ٠٠ وتعلمت أشياء كثيرة ٠

ففتح ايسترلنج عينيه في دهشة وقال :

– انت خدمت تحت امرة هذا الاميرال الهولندي ٠ ؟

ثم أردف بعد لحظة :

– ظننت انك كنت طبيبا ٠٠

فأجاب بلود في بساطة :

– لقد كنت ذلك أيضا ٠٠

فهز ايسترلنج كتفيه ٠٠

وأراد دوجيرون أن يضع حدا لهذه المناقشة فقال :

– أرى أنه لم يبق ما يمكن قوله يا كابتن ايسترلنج ٠٠ انني أعرف صديقي الكابتن بلود ٠٠ واعلم أنه لا يتحول عن رأيه ٠٠

وانطلق ايسترلنج وهو يزمجر :

نعم .. لم يبق ما يمكن قوله .. ولكن هناك أشياء كثيرة يمكن عملها .

كان قد عقد آمالا كبارا على (الميرانتى) .. ورأى نفسه بعين الخيال سيد هذه القلعة القوية ، بين سفائن البحر فخر فى نفسه هذا الفشل ، وضيقه أن يتبدد حلمه الذهبى ، فى أن يصبح بفضل هذه السفينة سيد القراصنة .

قال مسيو دوجيرون انه لم يبق ما يمكن قوله بين بلود وايسترلنج ، ولكن كان من رأيه الشخصى أن هناك عبارة واحدة على الاقل يجب أن يختم بها الحديث الذى دار بين هذين الرجلين ، وقد آثر أن ينطق بهذه العبارة بعد رحيل ايسترلنج فقال :

ـ هذا رجل شرير ، شديد الخطر ، وانت تحسن صنعا اذا تذكرت ذلك دائما يا مستر بلود .. !

فأجاب بلود بهدوء :

ـ لقد قرأت فى وجهه ما يغنى عن هذا التحذير .

على أن هذه المقابلة لم تكن الاخيرة بين بلود وايسترلنج ، ففى صباح اليوم الثالث ، شوهد ايسترلنج فى قارب صغير .. وهو يشق طريقه الى السفينة (الميرانتى) .

وصعد ايسترلنج الى سطح السفينة وأجال حوله نظرة فاحصة سريعة .. أحاطت بكل ما هنالك ..

وجد كل شىء فى مكانه الطبيعى .. ورأى قوهات المدافع تتألق تحت أشعة الشمس كأنها من الذهب الخالص ..

وجد الكابتن بلود على ظهر السفينة وهو يصدر أوامره الى أعوانه .

ولم ير على وجوه أولئك الاعوان شيئا من الغلظة والقساوة التى جرت بها الالسن .. وتشدق بها الرواة ..

ووقع بصر بلود على وجه زائره .. وضاقت عيناه .. ثم مشى اليه ببطء ، مشية الواثق المطمئن .. وحياه .. ودعاه الى غرفته .. فوجد ايسترلنج نفسه فى قاعة فسيحة ذات رياش لم ير فى حياته أفخم منه

وجاء خادم زنجى .. فقدم الى الزائر قدحا من النبيذ الفاخر .

وأطرى ايسترلنج نبيذ مضيفه اطراء بر الاقداح الثلاثة التى ازدردها بعد ذلك .. ثم تحدث فيما جاء من أجله .. فسأل (بلود) عما اذا كان قد عدل عن اصراره ، وأردف :

ـ ثم انني على استعداد لان أعرض عليك ثمنا لاتحلم به .

ولعله ظن أن ثعاب « بلود » سيسيل عندما يسمع هذه العبارة .

ولكن بلود هز رأسه ببطء ، وأجاب :

ـ انك تضيع وقتك سدى يا كابتن ، فانني مصمم على الاحتفاظ بهذه السفينة .

فرفع ايسترلنج حاجبيه الكثيفتين ، ونظر الى محدثه طويلا ، ثم قطب حاجبيه وقال :

ـ فى هذه الحالة ، يجب أن أعرض عليك الاقتراح الاساسى الذى دفعنى الى زيارتك ..

فنظر اليه بلود متسائلا .

قال ايسترلنج :

ـ ما قولك فى اشراك (الميرانتى) مع سفينتى (الفنير) فى مغامرة تعود عليك بخير وفير ..

وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة ..

قال بلود :

ـ انك تشرفني بهذا الاقتراح ، ولكني لم اتعود أن اكون مرؤوسا ..

فقال ايسترلنج بسرعة :

ـ كلا .. كلا .. انك تسيء فهمي ، فلم أقصد قط أن يكون الكابتن بلود العظيم مرؤوسا لي ، وانما اقصد أن نتعاون معا ، في مغامرة سوف لا تندم عليها ..

ـ هل أستطيع أن أعرف نوع هذه المغامرة ؟

فسأل ايسترلنج بدوره :

ـ وهل أستطيع أن أثق بك ؟

ـ ليس ما يرغمك على أن تثق بي ، واكبر ظني انك تضيع وقتك على أي حال ..

كان ردا غير مشجع ، ولكنه لم يقت في عضد ايسترلنج ، فراح يعرض اقتراحه ..

قال انه كان أحد البحارة الذين عملوا تحت امرة السير هنري مورجان القرصان المشهور ، وانه كان برفقة مورجان في هجومه المشهور على (بناما) وان غنائم القراصنة واسلابهم من هذه المدينة الاسبانية الغنية كانت تفوق اقصى ما ذهبت اليه آمالهم . ولكن ترددت اشاعة ـ وايسترلنج يقطع بصحتها ـ مفادها أن مورجان احتفظ لنفسه بخلسة بجانب كبير من هذه الاسلاب . ولم يوزع على اعوانه غير النذر اليسير ، والجانب الذي احتفظ به مورجان . هو عبارة عن كمية هائلة من اللآلىء والاحجار الكريمة .

وقد تناقل القراصنة هذه الاشاعة حتى وصلت الى اذني مورجان نفسه فاشفق أن ينتقض عليه أعوانه .. ويناقشوه الحساب ، فعمد الى اخفاء كنوزه قبل أن

يفتضح أمره ..

قال ايسترلنج :

ـ وقد أخفى مورجان كنوزه على شاطىء (بناما) في مكان لا يعرفه أحد سواه .. هو والرجل الذي عاونه على نقل هذه الكنوز تحت جنح الظلام .. فهو لم يعرف من هو هذا الرجل الذي ائتمنه مورجان على سره ؟

وصمت ، ونظر الى بلود بامعان .

ولكن بلود لم يجب .. ولم يحول نظراته الحادة عن وجه محدثه ..

قال ايسترلنج :

ـ هذا الرجل هو أنا .

ورفع رأسه بكبرياء .. ودق صدره بيده ..

وصمت لحظة أخرى .. ليستمع للكابتن بلود بأن يهضم هذه الحقيقة الخطيرة .

ثم مضى في حديثه .. فقال أنه يقترح على بلود واعوانه أن يساعدوا معه في رحلة الى (داريان) حيث أخفى مورجان كنوزه .. ومتى تم لهم استخراج هذه الكنوز فانهم يقتسمونها فيما بينهم على الاساس المتفق عليه بين القراصنة .

وختم حديثه بقوله :

ـ واني أكون شديد التواضع اذا قدرت قيمة هذه الكنوز بنصف مليون قطعة ذهبية ..

كان الرقم ضخما .. وحقيقا بأن يثير جشع مغامر كالكابتن بلود ..

ولكن بلود لم يزد على أن هز رأسه ببطء .. وقال كمن يحدث نفسه :

ـ هذا غريب حقا !

ـ أين موضع الغرابة ؟!

فأجابه بلود بأن سأل :

ـ كم عدد الرجال الذين يعملون تحت امرتك فى السفينة ، افنتير ؟

ـ ان عددهم لا يقل عن المائتين ..

ـ وهل ترى أن العشرين رجلا الذين يعملون تحت أمرتى من الاهمية لانجاح مشروعك .. لكى تتقدم الينا بهذا الاقتراح ؟ ..

فضحك ايسترلنج بصوت مرتفع وقال :

ـ أرى انك لا تفهمنى .. بل انك لا تفهم على الاطلاق .. اعلم اننى لا احتاج الى رجالك بمقدار ما احتاج الى سفينة قوية لحماية الكنز متى عثرنا عليه . وسيكون الكنز فى قاع هذه السفينة كأنه فى جوف قلعة حصينة .. ولن أعبأ حينئذ بأية سفينة أسبانية أسبانية تعترض طريقى ..

فقال بلود دون أن يحول عينيه عن وجه محدثه :

ـ فهمت .. وكم يكون نصيبنا من الكنز ؟ !

ـ قلت لك أن الغنيمة ستوزع بالطريقة العادلة .. أعنى بالتساوى .. فيكون نصيبكم ممشار نصيبنا .

ـ اذا نظرنا الى الاهمية التى تنسبها الى وجودنا معك .. كان توزيع الغنيمة على هذا الاساس بعيدا عن الانصاف ..

فلوح ايسترلنج بيده بقلة اكتراث ، وقال :

ـ اذن على أى اساس تريد توزيع الغنيمة ؟!

ـ هذه مسألة فيها نظر .. ولكنى أعتقد أن رفاقى لا يرضون بأقل من الخمس .

فصمت ايسترلنج قليلا ، ثم أحنى رأسه الضخم وقال :

ـ اذن تعال مع رفاقك غدا لتناول طعام الغداء فى سفينتى ، افنتير ، ومن ثم نضع شروط الاتفاق ..

وما كاد ايسترلنج يبرح السفينة .. حتى دعا بلود أعوانه .. وشاورهم فى الامر ..

كانوا أعوانه .. وكانوا أصدقاءه .. وقد اشتركوا معه فى جميع مغامراته .. وحكم عليهم بالاعدام فى انجلترا كما حكم عليه .. وبيعوا فى سوق النخاسة كما بيع .. وتذوقوا معه مرارة الفشل .. وحلاوة الانتصار .. فكان لزاما عليه أن يسترشد بآرائه . فما له اتصال بمصيرهم ..

قص عليهم ما كان بينه وبين ايسترلنج . وعرض عليهم اقتراحه . وختم حديثه بقوله :

ـ لقد قال لصديقى « دوجيرون » ان ايسترلنج رجل شرير شديد الخطر .. وفى اعتقادى ان وصفه بالخطورة فيه اطراء له .. لان الرجل الخطر يجب ان يكون ماهرا وايسترلنج ليس على شىء من المهارة ..

فسأله ولفستون :

ـ وماذا يحملك على هذا الاعتقاد ؟

ـ يحملنى على هذا الاعتقاد ، العذر الذى برر به رغبته فى اشراكنا معه .

فقطب هاجثورب حاجبيه وقال :

ـ انه عذر معقول ، ومقبول ..

فضحك بلود وقال :

ـ انه مقبول شكلا ، الى أن نمعن النظر فيه ، ونجرده من ظواهره البراقة ..

انه يريد أن يضع نصف مليون قطعة ذهبية فى قاع سفينة منيعة كالحصون ، وهذه السفينة بين أيدينا ، افلاترى أن الرجل حسن النية الى حد غير مألوف فى وغد مثله ؟

ففكروا فى الامر مليا ، ولم يقتنع (جيريمى بيت) بهذا

الرأى ..

قال :

– ان المضض يركب الصعب من الامور ، والكابتن ايسترلنج مضطر فى هذه الحالة أن يضع ثقته فينا اعتمادا على شرفنا ..

فرمقه بلود بنظرة هزؤ وأجاب :

– انى لم ارقط رجلا له عينان كعينى ايسترلنج ، يضع ثقته فى شىء لا يملكه ، فاذا كان فى نيته حقا أن يضع الكنز فى هذه السفينة فليس ذلك الا لانه ينوى الاستيلاء على هذه السفينة قبل أن يضع فيها الكنز .. أما « الشرف » فلا محل له هنا ، فان رجلا مثل ايسترلنج لا يمكن أن يعتقد ان الشرف يمنعنا من الفرار بالكنز ، أو من اغراق سفينته اذا حانت لنا فرصة ..

فسأل هاجثورب :

– اذن ما الغرض الذى يرمى اليه من دعوتنا للاشتراك معه ؟؟

فاجاب بلود :

– انه يرمى الى الغرض الذى ذكره .. انه يريد الاستيلاء على سفينتنا .. لنقل الكنز اذا كان له وجود .. او لاغراض أخرى . ثم يحاول أول الامر ان يبتاع هذه السفينة ؟ انه يريدها بغير شك .. ولكنه لا يريدنا .. وسيعمل على الخلاص منا فى أول فرصة .

بيد ان فكرة الاستيلاء على كنوز (مورجان) كانت فى ذاتها كافية لان تبهر ابصار القوم . فما ضرهم اذا ساهموا فى هذه المغامرة رغم ما يحف بها من مخاطر ؟؟

وبعد أفلا يحسن أن تكون شكوك بلود قائمة على غير أساس وأن يكون التحذير الذى تبرع به مسيو دوجيرون صادرا عن هوى ؟

قال هاجثورب :

– يجب على الاقل أن نلبى دعوة ايسترلنج .. ونسمع شروطه .

فسأله بلود :

– وهل أنت واثق من أنه لا يدس لنا السم فى الطعام ؟ كان هذا اسرافا فى التشاؤم .

كيف يدس لهم ايسترلنج السم فى الطعام الذى سيشترك معهم فى تناوله ؟

وماذا يفيد من تسميمهم ؟ وكيف يساعده ذلك على الاستيلاء على السفينة ؟

قال بلود :

– ان فى استطاعته ان يقتحم السفينة بنفر من أعوانه .. ويأخذ رجالنا على غرة قبل أن يتمكنوا من الدفاع عنها ..

فصاح هاجثورب :

– أيفعل ذلك هنا .. فى « تورتوجا » .. وكر القراصنة ؟؟ كلا .. كلا يا كابتن .. اظن أن هناك شيئا يقال له الشرف بين اللصوص .

– لك أن تظن ما شئت .. ان أحدا لا يجرؤ على ان يرمينى بالجبن ولكنى اوثر ان اتهم بالجبن .. على أن أوصف بالبله ....

ولكن الغالبية رأت غير رأيه .. وكان من رأى ولفستون وهاجثورب وجيريمى أن يأخذوا الكابتن ايسترلنج بظاهر أقواله .. وان يتركوا ما خفى من نواياه حتى تبرزها الظروف ..

فلما انتصف اليوم التالى . قصد الكابتن بلود الى السفينة « افنتير » ورافقه جيريمى وهاجثورب و « دايك » .. وبقى ولفستون فى « الميرانتى » للدفاع

عنها عند اللزوم ٠

وقابل ايسترلنج ضيوفه بكل مظاهر العظمة والجبروت ٠٠ وحوله جميع رجاله ٠٠ وهم مدججون بالاسلحة كانهم على استعداد لمعركة فاصلة ٠

ولم يجد بلود ضرورة لان يلفت زملاءه الى شذوذ هذه المقابلة ٠٠ رأى ان وجودهم لتناول طعام الغداء لم يكن يستلزم بحال ان يجمع ايسترلنج شتات رجاله من الحانات والمقاهى ٠٠ وان يحشدهم جميعا على ظهر السفينة بهذه الصفة ٠٠

ورأى زملاء بلود من ناحيتهم أن رجال ايسترلنج يرمقونهم بنظرات لا تدعو الى الطمأنينة ٠٠ وحدثتهم نفوسهم بان بلود كان على حق ٠٠ وانهم فى الغالب قد عشوا الى الفخ بأقدامهم ٠

على أن التقهقر كان مستحيلا ٠٠ فقد رآهم ايسترلنج ورجاله ٠ وخفوا اليهم للترحيب بهم ٠

وجمد بلود فى مكانه قليلا ٠ وأجال البصر حوله ٠

رأى القلعة تطل على الميناء ٠ وتسبح فى وهج الشمس المحرقة ٠٠

ورأى (البرانتى) فى مدخل الميناء ٠٠ والنسيم يعبث بأشرعتها ٠٠

وخيل الى زملاء بلود وهم فى قلقهم ٠٠ ان زعيمهم يبحث عن المكان الذى يلتمس منه النجدة ٠٠ اذا تعين عليه أن يستنجد ٠٠

ثم سمع بلود صوت ايسترلنج وهو يرحب به ٠٠ فافاق من ذهوله ٠٠ وتقدم ٠٠

وتبعه زملاؤه ٠

وقصد ايسترلنج بضيوفه الى غرفة فسيحة ٠٠ تنبعث منها رائحة العفونة ٠٠

وأجلسهم حول مائدة ذات غطاء قذر لا يحرك الشهية الى الطعام ٠٠

وجيء بالطعام ٠٠ فشعر بلود بامعائه تضطرب ٠٠

واشترك فى تناول الطعام ستة من رجال ايسترلنج ٠٠ قال عنهم هذا ان بحارة سفينته قد انتخبوهم لمناقشة شروط الاتفاق نيابة عنهم ٠٠

وكان بين الحاضرين كذلك شاب فرنسى يدعى (جوانفيل) ، وهو سكرتير مسيو دوجيرون حاكم (تورتوجا) وقد جيء به ليكون شاهدا رسميا على صحة الاتفاق ٠

وقد دهش بلود لوجود هذا الشاب ٠٠ وتضاعفت شكوكه واشتد قلقه حين لاحظ ان ايسترلنج قد أجلس رجاله بحيث فرق بهم بين ضيوفه ٠٠

وأرجيء الكلام فى موضوع الزيارة ٠٠ حتى رفع الطعام ، وانسحب الخادم ٠٠ ثم جيء الى كل من بلود وايسترلنج بقلم ومداد ، استعدادا لابرام الاتفاق ٠

وبدأ ايسترلنج حديثه بأن قال ان رجاله يعتقدون بأن النسبة التى اقترحها الكابتن بلود لتوزيع الغنائم مبالغ فيها ٠٠ وتتضمن اجحافا بهم ٠٠

فقال بلود :

ـ لنتكلم فى صراحة يا كابتن ٠ هل تعنى ان رجالك لا يوافقون على منحنا (خمس) الغنائم ٠٠ ؟

ـ وهل لكلامى معنى آخر ٠ ؟

ـ فى هذه الحالة لا يبقى لنا الا أن نستأذن فى الانصراف شاكرين لكم حسن ضيافتكم ٠٠

فاحمر وجه ايسترلنج ، وقال وهو يجفف العرق المتصبب على جبينه :

ـ تستأذنون فى الانصراف ! ! هل تسمح لى أن أسألك

بدوري ان تكون صريحا ؟ اننى احب الصراحة ٠٠ فهل ثعنى انك ترفض الاقتراح وتنقض يديك منه ؟ ؟

وصمت ٠٠ وسمع بلود ضحكة سخرية تنبعث من فم أحد رجال ايسترلنج ٠

ظهرت على وجه بلود علامات التردد ٠ ونظر الى زملائه كانه يلتمس آراءهم ٠٠ ولكنهم أجابوه بنظرات تنم عن القلق ٠٠

قال أخيرا :

ـ ما دمت ترى أن الشروط التى عرضتها عليك غير معقولة ٠٠ فمعنى ذلك انك راغب عن معونتى ٠٠ وفى هذه الحالة يجب أن ننسحب ٠

قال ذلك بصوت خافت مضطرب ، أدهش زملاءه ٠٠ وأثار ايسترلنج ٠٠

وشعر ايسترلنج بانه كان على حق ٠٠ حين أنكر على الكابتن بلود أعمال الجراة والبطولة التى ينسبونها اليه ٠٠

كان لا يزال فى نظره ذلك الطبيب الذى أرغمته الظروف على أن يصبح قرصانا ٠٠

قال متهكما :

ـ حقا أيها الطبيب ٠٠ لقد كان يحسن بك أن تعود الى المبضع وتترك السفن لمن يحسنون تسييرها ٠

فلمعت عينا بلود ٠٠ ولكن وجهه الشاحب الحزين ٠٠ ظل محتفظا بدلائل المذلة والانكسار ٠٠

وتحول ايسترلنج الى مندوب الحاكم وقال :

ـ ما رأيك فى هذا يا مسيو جوانفيل ؟ ؟

فنظر جوانفيل الى بلود وقال وهو يبتسم :

ـ اليس من الحكمة يا سيدى ان تصغى الى الشروط التى يقترحها عليك الكابتن ايسترلنج ؟ ؟

فاجاب بلود :

ـ اننى على استعداد للاصغاء اليها ٠٠ ولكن ٠٠

فقاطعه ايسترلنج بحدة :

ـ دع هذه الاعتراضات الى النهاية يا « دكتور » ٠٠ ان الشروط التى نقبلها ٠٠ هى الشروط التى سبق أن عرضتها عليك ٠٠ فالغنيمة ستوزع بالتساوى كما قلت لك ٠

فاجاب بلود :

ـ ولكن هذا معناه اننى ورجالى لا نصيب أكثر من معشار الغنيمة ٠٠

ثم تحول الى جوانفيل وسأل :

ـ فهل ذلك من الانصاف يا سيدى ؟ ؟ اننى أوضحت للكابتن ايسترلنج ان نقص الرجال فى سفينتى تعوضه قوة السفينة ووفرة مدافعها وذخيرتها ٠ وهذه المدافع يشرف عليها « مدفعى » لم تر البحار الجنوبية ابرع منه ٠

اسم هذا « المدفعى » أوجل » ٠٠ وهو شيطان مريد ٠٠ يستطيع اذا شاء أن يصوب قوهة مدفعه الى خوذتك ٠ فتنتزع القنبلة الخوذة من رأسك ٠ دون أن يصيبك بأذى ٠ انه مدفعى لا يمكن أن ٠٠

فقاطعه ايسترلنج بان صاح بحدة :

ـ ان وجوده لا يقدم ولا يؤخر ٠٠

ـ كلا ٠٠ كلا ٠٠ انه ليس رجلا عاديا ٠٠ ورجال المدفعية من أمثال « أوجل » هم كالشعراء ٠٠ يولدون ولا يدربون ٠

فضرب ايسترلنج المائدة بقبضة يده ٠ وصاح :

ـ وما أهمية ذلك فيما نحن بصدده ؟

ـ قد يكون لذلك أهمية ٠ اننى أريد على أن تفهم بانك ستجد فينا أعوانا مفيدين ٠

ثم عاد الى موضوع « أوجل » فقال :

ـ لقد كان « أوجل » قائدا للمدفعية فى الاسطول البريطانى ، ولكن من سوء حظ انجلترا أن ..

فقاطعه رجل من رجال ايسترلنج يدعى « شارد » ، صاح :

ـ الا تكف عن هذا الاسفاف ، من ذا الذى يريد أن يعرف تاريخ هذا المدفعى .

ولاحظ بلود أن القوم يتمددون اشارته .. وأدرك الغرض الذى يرمون اليه من وراء ذلك .

تدخل جوانفيل فى الامر ، فقال محدثا ايسترلنج :

ـ الا تستطيع الوصول الى اتفاق مع الكابتن بلود ؟ انه على شىء من الحق .. وفى استطاعته فى كل وقت أن يملأ سفينته بالرجال .. ويزيد بذلك نصيبه من الغنيمة ..

فهز ايسترلنج كتفيه وقال :

ـ ليفعل ذلك اذا شاء .

فقال بلود :

ـ انني مصر على وجهة نظرى ..

فصاح ايسترلنج :

ـ انت تصر ..

وضحك فى وجهه ضحكة مهينة ..

وعندئذ فقط فهم بلود السر فى وجود « جوانفيل » .. ادرك أن القوم يتمددون اهانته واحراجه .. حتى تثور ثائرته فيقدم على عمل يملى عليه الغضب .. فينقض عليه اعوان ايسترلنج ويذبحونه هو ورجاله ذبح النعاج .. ويكون على « جوانفيل » فيما بعد أن يشهد بين يدى الحاكم بأن الضيوف هم الذين بدأوا بالعدوان ..

قال جوانفيل :

ـ كلا .. كلا يا كابتن ايسترلنج .. ما هكذا تستطيع الوصول الى اتفاق .. انت بحاجة الى سفينة الكابتن بلود .. وعلى الانسان أن يدفع ثمن ما يحتاج اليه .. الا تستطيع أن تعرض عليه (سبع) الغنيمة أو (ثمنها) ؟ ..

فصمت ايسترلنج لحظة ، ثم سأل :

ـ وما قول الكابتن بلود فى اقتراح مسيو جوانفيل ؟

ففكر بلود طويلا ، ثم هز كتفيه وقال :

ـ انت تعرف ما يجب أن اقوله .. وهو اننى لا استطيع ان اقطع فى الامر برأى قبل أن أعرف وجهة نظر اتباعى .. فلنرجىء الحديث اذن الى يوم آخر حتى استطلع آراء رجالى ..

فزمجر ايسترلنج وصاح ::

ـ اتسخر منا يا هذا ؟ ؟ ألم تصطحب معك صفوة رجالك ؟ ؟ اننا لم نجتمع الان للعب .. وانما اجتمعنا لابرام الاتفاق .. وسنبرمه قبل أن نبرح هذا المكان ..

فأجاب بلود فى هدوء :

ـ قد نبرمه .. وقد لا نبرمه ..

ـ أو لا نبرمه ؟ ! ماذا تعنى بحق الشيطان ..

ونهض ايسترلنج واقفا ، وشرر الغضب يتطاير من عينيه ..

فأجاب بلود .. وقد رأى أن الوقت قد حان لارغام غريمه على وضع أوراقه على المائدة :

ـ اعنى بكل بساطة .. اننا قد لانبرم الاتفاق .. وبذلك ينتهى كل شىء بيننا ..

ـ ينتهى كل شىء بيننا .. ها .. ها .. انت واهم يا هذا ..

فقال بلود وهو ينظر الى غريمه بعينين صارمتين كالفولاذ :

ـ هل لى أن اسألك بدورى عما تعنى ؟ !

ـ تسألنى عما أعنى ؟ ! أصغ الى يا مسيو جوانفيل ·· ان هذا المخلوق ·· هذا الطبيب ·· هذا العبد الهارب من مولاه · قد لوح لى بامكان الاتفاق معى ·· وا ستطاع بذلك ان يعرف سركنوز « مورجان » وما هو يريد ـ بعد ان عرف السر ـ ان يقيم العقبات فى سبيل الاتفاق ، وغرضه من ذلك واضح كما ترى ··

فصاح بلود ببرود :

ـ ما أقدرك على الكذب يا هذا ·· ماذا أعلم عن كنوز « مورجان » أكثر من انها مخبأة فى مكان ما ··

ـ بل أنت تعرف مكانها ·· وقد كنت مغفلا حين ذكرت لك هذا المكان ·

فضحك بلود ضحكة ادهشت زملاءه الذى شعروا بحرج الموقف ·

قال :

ـ لقد ذكر لى ان كنوز مورجان مخبأة فى مكان ما فى خليج « داريان » ولكن اين ؟ ! وهو يزعم الان انى استطيع أن انطق لساعتى ، واستولى على هذه الكنوز ·· فهل ثمة عبث بالافهام وتلاعب بالحقائق اكثر من هذا العبث وهذا التلاعب ؟

ثم يجب أن اقنك انى حقيقة اخرى يا مسيو جوانفيل ، وهى اننى لا أقيم اية عقبة فى سبيل الاتفاق مع الكابتن ايسترلنج ·

لقد افهمته منذ البداية اننى اقبل التعاون معه لقاء « خمس » الغنيمة ·· أما الان ·· بعد ان تحققت شكوكى ، وعرفت نواياه ودخيلة أمره ·· فاننى لا اتعاون

معه ·· ولو عرض على نصف الكنز ·· اذا افترضنا ان الكنز موجود على الاطلاق · وهو مالا أعتقده ··

وهنا نهض رجال ايسترلنج ·· ووضعوا ايديهم على مقابض خناجرهم انتظارا لامر رئيسهم ·

وقال جوانفيل :

ـ انك على جانب عظيم من التهور يا كابتن بلود ··

فاجاب بلود بقلة اكتراث :

ـ ربما ·· ربما ·· هذه مسألة فيها نظر · والكلمة الاخيرة لم تقل بعد ··

فقال ايسترلنج بهدوء مخيف :

ـ اذن فاسمع الكلمة الاخيرة ·· لقد كنت أريد أن احذرك بأننى لن اسمح لك ـ وقد عرفت من أمر الكنز ما تعرف ـ بأن تبرح هذه السفينة قبل ان تبرم عقد الاتفاق ·· أما الان ·· وقد صرحت بنواياك فاننى لا أرى موجبا لتحذيرك ·

ولم يكن بلود قد تحرك من مكانه ·· فرفع عينيه الى وجه ايسترلنج بهدوء ·· ولاحظ زملاؤه فى دهشة وعجب ، انه يبتسم ساخرا ·

قال هاجثورب :

ـ ماذا تعنى يا كابتن ايسترلنج ؟ ! وماذا فى نيتك أن تصنع بنا ؟ ··

فأجاب ايسترلنج :

ـ سأشد وثاقكم · والقى بكم فى قاع هذه السفينة ·

فصاح هاجثورب :

ـ يا الهى ·· وماذا ··

فقاطعه بلود · اذ قال بصوت هادىء رنان :

ـ وأنت يا مسيو جوانفيل ؟ ! هل تسمح بذلك ولا تنطق بكلمة احتجاج ؟ !

فقلب جوانفيل كفيه ، وهز كتفيه .. وأجاب :

ـ أنت الذى جلبت ذلك على نفسك يا كابتن بلود .

ـ اذن فقد جاءوا بك لكى تقول ذلك لمسيو دوجيرون ؟ حسنا .. حسنا .. حسنا ..

وفى هذه اللحظة .. دوى صوت كقصف الرعد مزق السكون الذى يخيم على الميناء .. فرفع الرجال رؤوسهم فجاة .. ونظروا الى بعضهم بعضا متسائلين . وقال ايسترلنج .. وفى عينيه نظرة قلق :

ـ ماذا بحق الشيطان ؟

فاجابه بلود بصوت رقيق :

ـ لا تزعج نفسك بغير طائل يا عزيزى الكابتن . هذه قنبلة أطلقها (أوجل) تحية لك .. (أوجل) .. مدفعى السفينة الميرانتى .. الم أحدثك عن (أوجل) بما فيه الكفاية ؟

فغمغم ايسترلنج :

ـ تحية لى ؟ ماذا تعنى بحق الجحيم ؟

ـ هذه القنبلة تذكرة لنا .. وتحذير لك .. انها تذكرنا باننا سلخنا من وقتك الثمين ساعة .. ويجب الا نثقل على ضيافتك وكرمك أكثر من ذلك .

قال ذلك .. ونهض واقفا فى هدوء وطمأنينة . وأردف :

ـ اتمنى لك يوما سعيدا يا كابتن .

فتناول ايسترلنج غدارة بسرعة . وصاح :

ـ صبرا ايها المهرج .. انك لن تبرح هذه السفينة .

ولكن الابتسامة لم تغب عن شفتى بلود .

أجاب :

ـ باللشيطان .. سيكون هذا من سوء حظ السفينة .. وسوء حظ الذين بها .. وبينهم مسيو جوانفيل

المحترم .. الذى يعتقد بغير شك انك ستقدم اليه نصيبه الذى وعدته به من الكنز الموهوم .. لقاء الشهادة الكاذبة التى كان فى نيته أن يؤديها بين يدى الحاكم لتبرير استيلائك على (الميرانتى) .

هانتذا ترى اننى لم انخدع بنوايا يا عزيزى الكابتن .. ومن سوء حظك .. ان وجهت البشع لايحجب نوايا الشريرة .

فافلتت من فم ايسترلنج شتمة قبيحة .. وصوب الغدارة .. وهم بان يطلقها .

ولكن شيئا فى لهجة بلود ازعجه وأقلقه .

قال بلود :

ـ اننا نضيع الوقت .. والدقائق أثمن مما تتصورون .. وربما كان من المفيد أن اظهركم على حقيقة الموقف .. لقد اصدرت أوامرى الى « أوجل » بانه اذا انقضت عشرة دقائق بعد اطلاق هذه القنبلة .. ولم ابرح وزملائى هذه السفينة .. فان عليه أن يسدد مدافعه جميعا الى هذه السفينة .. ويغرقها بغير تردد .. واعتقد ان « أوجل » لن يحتاج الى اطلاق اكثر من قنبلتين .. فانه رجل بارع فى اصابة الهدف ، وقد خدم فى الاسطول البريطانى .. واظن اننى حدثتكم عنه بما فيه الكفاية ..

وساد صمت عميق .. كان جوانفيل أول من بدده .. صاح فى ذعر :

ـ يا الهى ! دعونى انسحب من هذه الورطة .. وافعلوا بانفسكم ما شئتم ..

فصاح ايسترلنج فى غضب :

ـ كفى عواء أيها الفأر الفرنسى ..

ثم تحول الى بلود .. وقال وهو يحرك الغدارة فى

يده :

ـ أيها الطبيب القذر ٠ ! لقد كان أولى بك أن تعود الى المبضع كما قلت لك ٠٠

ولم يشك بلود فى أنه ينوى قتله ٠٠

وبأسرع من لمح البصر ٠٠ وقبل أن يدرك أحد غرضه ٠٠ مد بلود يده بسرعة ٠٠ واختطف احدى زجاجات النبيذ ٠٠ وقذف بها رأس ايسترلنج ٠٠

فانفجرت الزجاجة ٠٠ وترنح ايسترلنج ٠٠ وسقط على الارض كأنه كومة من الخرق البالية ٠٠

وذهل رجال ايسترلنج ٠٠ وجمدوا فى أماكنهم ٠٠ ثم تحفزوا فجأة للهجوم ٠٠

ولكن بلود رفع يده فوق رأسه ، وصاح بصوت كقصف الرعد :

ـ حذار ٠٠ ان الوقت يمر بسرعة ٠٠ وقد انقضت الدقائق العشر ، فاما أن تسمحوا لى ولزملائى بالرحيل ٠٠ والا غرقنا معا ٠٠

فصاح جوانفيل فى ذعر ، وتحول الى رجال ايسترلنج ٠٠ وقال مستعطفا :

ـ بحق المروءة فكروا فى الامر ، انه جاد فيما يقول ٠٠

وساد صمت عميق ٠٠ ثم قال قائل من رجال ايسترلنج ٠٠ ولعله الوحيد الذى فكر فى الموقف من الناحية العملية :

ـ أخرج برجالك يا هذا ٠٠ فليس فى نيتنا أن نغرق كالفيران ٠

ولاشك أن بحارة (افنتير) كانوا يجهلون نوايا قبطانهم ٠٠ لان أحدا منهم لم يحرك ساكنا لمنع بلود واعوانه من مغادرة السفينة

ولم يفق هاجثورب من ذهوله ٠٠ الا عندما توسط قاربهم المسافة بين (افنتير) (وانيرانتى) ٠

هتف :

ـ يا الهى ٠٠ لقد مرت لحظة شعرت فيها بأننى على ابواب الابدية

فغمغم جيريمى :

ـ نعم ٠٠ نعم ٠٠ لقد شعرت بمثل ذلك ٠٠

ثم تحول الى بلود ، وقال :

ـ ولكن هب اننا لم نستطع لسبب ما أن نبرح السفينة قبل انقضاء الدقائق العشر ٠٠ وان (أوجل) أطلق مدافعه على السفينة ٠٠

فتنهد بلود وقال :

ـ لم يكن ثمة خطر من ذلك ٠ انما كان الخطر الا يطلق (اوجل) مدافعه

ـ وكيف لايطلقها ٠٠ وقد أمرته ؟

ـ ذلك ما غاب عنى أن أفعله ٠٠ لقد طلبت اليه أن يطلق قنبلة فى الفضاء بعد ساعة من رحيلنا ٠٠ على اعتبار أننا قد نفيد من اطلاقها ٠ واعتقد أننا أفدنا ٠ ٠ وجفف العرق المنصبب على جبينه ٠٠

الفصل الثانى

سفينة الذهب

من أشعاثر المأثورة عن الكابتن بلود أن قيمة الرجل ليست فى مقدرته على وضع الخطط العظيمة ٠ وانما قيمته فى بعد نظره ٠ وشعوره بالفرص وبراعته فى انتهازها ٠

وقد استطاع بلود ببعد نظره ، وبراعته فى انتهاز الفرص ، أن ينقذ نفسه وزملاءه من قبضة ايسترلنج ، بيد أن نجاحه ونجاته لم يغرياه بالسلامة ، وشعر بأن ايسترلنج سيظل مصدر خطر ومتاعب ، الى أن يحتشد على ظهر (الميرانتى) عدد من الرجال لا يقل عن عدد أعوان (ايسترلنج)

ثم انه كان من المحتمل أن ينقض (ايسترلنج) على (الميرانتى) فى أية لحظة ، قبل أن يتمكن «بلود » من تزويد سفينته بالرجال ،

ورأى بلود من الحكمة أن يتأهب للطوارىء ، فدعا اليه أعوانه لاستطلاع آرائهم ،ووضع خطة للعمل ،

وعرض بلود على أعوانه الرأى الفلسفى البسيط ، القائل بأن الانسان اذا هوجم ، كان عليه أن يختار أحد أمرين ، اما أن يقاتل ، واما أن يلوذ بالفرار ،

وأردف :

ـ وما دمنا لافتقارنا الى الرجال فى مركز لا يسمح لنا بالقتال اذا هوجمنا ، فانه لا مناص لنا من أن نلوذ بالفرار ، ولن يقول أحد بأننا فررنا خوفا وجبنا ، فقد أثبتنا فيما مضى اننا قوم تحمل ارواحنا على أكفنا ،

واذا كان ايسترلنج قد سمع فى جوف الليل رنين السلاسل الحديدية ولاحظ نشاطا غير عادى على ظهر السفينة (الميرانتى) وأدرك الغرض من هذا النشاط ، فانه كان عاجزا تماما عن منع سفينة غريمه من مغادرة الميناء ، أولا لان أكثر رجاله كانوا وقتئذ يعيثون فسادا فى حانات (تورتوجا) وملاهيها الوضيعة ، وثانيا لانه اذا كان قد فكر فى الاستيلاء على « الميرانتى » بالحيلة ، فانه أعقل من أن يفكر فى الاستيلاء عليها عنوة

فى (تورتوجا) تحت أنف مسيو (دوجيرون) سيما وأنه لايجهل الصداقة القديمة المشهورة ، التى توثقت بين هذا الاخير والكابتن بلود

وهكذا اضطر ايسترلنج أن يترك السفينة « الميرانتى » تفلت من يده ، على أنه لم يسارع الى مطاردتها حتى لا تفتضح أغراضه ، وشرع يستعد ويتأهب على مهل ، ولم يبدأ فى مطاردة غريمه الا فى منتصف اليوم التالى ،

كان يعتمد على مواهبه لمعرفة الاتجاه الذى قصد اليه بلود ، ويعتمد على سرعة « افنتير » وخفتها للحاق بالسفينة الميرانتى ، قبل أن تصل الى بر السلامة ،

وكانت استدلالاته تنطوى على الحذق ، فقد ادرك أن « الميرانتى » لا تحمل من المؤن والرجال ما يساعدها على القيام برحلة طويلة ، ولا تستطيع أن تحصل على حاجتها من الموانى الفرنسية أو الاسبانية أو الانجليزية خوفا من أن تصادرها السلطات ذات الشأن ، وان لم يبق لها الا أن تقصد الى احدى المستعمرات الهولندية المحايدة ، وترجح لديه أنها ستقصد الى جزائر « ليلاند » ، فهى أقرب المستعمرات الهولندية بعد جزائر « براهما » ، وطبيعى الا يجازف (بلود) بتحطيم سفينته العظيمة على الصخور الهائلة الواقعة فى الطريق الى جزائر « براهما » ،

وعلى ضوء هذه الاستدلالات شرع ايسترلنج فى مطاردة غريمه ، ولكن الامر لم يكن من البساطة والسهولة كما توقع ، فبعد أن ساعدته الريح قليلا ، عادت فهبت فى اتجاه معاكس ، واستحالت أثناء الليل الى عاصفة شديدة ، ولما بزغ الفجر وجد ايسترلنج أن الريح قد ردته الى الوراء ، وأبعدته عن طريقه ،

واشتدت العاصفة في اليوم التالي ، وراحت جبال الامواج تبعث بالسفينة وتتقاذفها كما لو كانت قطعة من « القلفين » ، ولكن من حسن حظ ايسترلنج أنه كان ملاحا ماهرا بقدر ماهو مغامر عنيد ، فاستطاع أن يخرج بالسفينة من مأزقها دون أن يصيبها عطب يذكر ، وانتظر حتى هبط الريح وسكنت العاصفة ثم استأنف المطاردة ..

وكان يشجع رجاله بقوله أن العاصفة التي عوقتهم لابد كذلك أن تكون قد عوقت الميرانتي .

ولم يشعر ايسترلنج بفضل العاصفة عليه الا في صباح اليوم الثالث ، حين رأى على مقربة من خليج « انجانو » سفينة ظن أول الامر انها ضالته ، ثم تبين من لونها ورايتها أنها من سفن الحكومة الاسبانية .

وكانت السفينة تشق طريقها بين صخور الخليج بصعوبة ومشقة ، وجميع الدلائل تدل على أنها أصيبت من عاصفة اليومين السابقين بعطب شديد ، ولم يكد ايسترلنج يراها على هذه الحال حتى شعر بما شعر به الذئب حين يرى وعلا جريحا ..

نسي « الميرانتي » ، ولم يعد يفكر الا في هذه الفريسة التعسة . التي تنتظره ليلتهمها . فتحول الى رجاله وأصدر اليهم أوامره . واوعز الى (شارد) — وهو احد أعوانه — أن يشرف بنفسه على السكان « الدفة » استعدادا للمعركة المقبلة ..

ثم أمر رجال المدفعية أن يتأهبوا .

ووقف على حاجز سفينته . وراح يرقب السفينة الاسبانية . واستطاع بنظراته الثاقبة أن يقرأ تاريخها . فقال :

— انها كانت عائدة في طريقها الى اسبانيا حين

فاجأتها العاصفة . وقد تمزق شراعها الاكبر . ومن المؤكد انها أصيبت بعطب آخر فرجعت أدراجها في الطريق الى « سان دومنجو » لتصلح هناك ما أصابها .

ثم ضحك ضحكة لا تبشر بالخير . وأردف :

— ان أعظم الغنم ، في السفن الاسبانية العائدة الى وطنها يا شارد . واكبر ظني أن هذه السفينة تحمل كميه من الذهب .

يا الهي .. يخيل الى ان الحظ بدأ يبسم لنا أخيرا .

والواقع .. ان الحظ كان قد عبس له طيلة الشهور الاخيرة . وهو اذا كان قد ضمع في الاستيلاء على السفينة (الميرانتي) فليس ذلك الا لان سفينته (افنتير) أثبتت عجزا مرارا وتكرارا عن الاضطلاع بالمغامرات الهامة في البحار الجنوبية . ولولا أنه وجد هذه السفينة الاسبانيه في حالة يرثى لها . لما جرؤ على التفكير في مهاجمتها بسفينة الصيد الصغيرة (افنتيرا)

وقد أرادت السفينة الاسبانية أن تمرق أمامه . لكي تصليه بمدافعها الجانبية نارا حامية . ولكنها أخطأت التقدير . كما أخطأت الهدف . وكانت النتيجة أن « افنتير » شقت طريقها اليها بسرعة البرق . وألقت عليها خطافها الحديدي الضخم وبذلك غلتها . ومنعتها من الفرار .

وصوب القراصنة بنادقهم على بحارة السفينة الاسبانية . بينما عمد نفر منهم الى اجتذاب السلاسل الحديدية المتصلة بالخطاف . الى أن اقتربت السفينتان . والتصقتا .

ولم يكن بين القراصنة في ذلك العهد من هو أغلظ من ايسترلنج طبعا . وأقسى قلبا . وقد تجلت قساوته في

تلك المعركة المريعة ، فما لبث أن أباد الجنود الاسبانيين عن آخرهم ·· وقذف بجثثهم الى البحر

ولم يغن البحارة ورجال المدفعية انهم استسلموا دون مقاومة ، طمعا فى النجاة · فذبحهم القراصنة ذبح النعاج ·

وهكذا استولى « ايسترلنج » على السفينة « سانتا باربارا » وفتك برجالها جميعا فيما عدا قبطانها الدون الفونسو دى بيفا · الذى أصيب فى بداية المعركة بضربة من مقبض غدارة افقدته الرشد · وفيما عدا مساعده · وأربعة من البحارة كانوا فى قاع السفينة وقت حدوث المعركة وقد أبقى ايسترلنج على هؤلاء بصفة مؤقتة · طمعا فى أن يفيد منهم ·

وبينما كان القراصنة يعملون على تطهير السفينتين من جثث القتلى بدا ايسترلنج فى استجواب الدون الفونسو · عن سفينته وحمولتها والمكان الذى تقصد اليه ·

وكان الدون الفونسو ممتقع الوجه وقد شد وثاقه الى المقعد الذى أجلس عليه ·

على انه ظل محتفظا بشباته وكبريائه ورباطة جاشه · كما يجب على من كان مثله · حيال لص أثيم من لصوص البحر ·

ورفض الدون الفونسو أن يجيب على أسئلة ايسترلنج · وأصر على الرفض ·· الى أن لوح له القرصان بأنواع العذاب الذى يحل عقده اللسان · وعندئذ لم ير القبطان ضرورة للمقاومة · فراح يجيب على أسئلة القرصان باختصار · وفهم ايسترلنج من كلامه أن غنيمته تفوق أقصى ما كان يرجوه ·

والواقع ·· أن « سانتا باربارا » كانت من الغنائم النادرة التى يحلم بها القراصنة فى كل مكان · فانها كانت تنقل شحنة من الذهب والفضة من « بورتوبيللو » الى اسبانيا · وقد بدأت رحلتها تحت حراسة ثلاث سفن حربية اسبانية · ولكن العاصفة الاخيرة فرقت بينها وبين سفن الحراسة · فاضطرت أن تتحول شطر « سان دومينجو » على أمل أن تجد السفن الحربية هناك · أو أن تنتظر هناك حتى تلحق بها بعض قطع الاسطول الاسبانى · فتقوم على حراستها ·

وتحقق ايسترلنج من صدق الدون الفونسو · ورأى بعينى رأسه كمية الذهب والفضة فى خزائن السفينة · وقدرها بمائتى الف قطعة ·

كانت غنيمة من النوع الذى لا يوفق اليه القرصان مرتين فى حياته · غنيمة تضمن الثروة · والحياة الرغيدة ·· له ·· ولمن يعملون تحت امرته ·

ولما كان الاثراء الفجائى يقترن بالقلق ، فقد وضع ايسترلنج نصب عينيه أن يصل بغنيمته الى (تورتوجا) بأسرع ما يمكن ·· فأمر عشرين من رجاله بالانتقال الى سانتا باربارا وبقى بشخصه على ظهر السفينة ·· لانه لم يطق فراق غنيمته وبدأ رحلته نحو (تورتوجا) وسفينته (الفتى) تتبعه عن كثب ·· تحت قيادة (شارد) ··

ولكن تقدمه كان بطيئا ·· بسبب الريح المعاكسة ·· ثم بسبب العطب الذى لحق بالسفينة « سانتا باربارا » ·· فلما انتصف النهار ·· كان لايزال على مقربة من خليج « راقايبل » ··

وقد شعر ايسترلنج بالجزع لوجوده عن كثب من

المستعمرة الاسبانية المعروفة باسم « هسبانيولا » فوضع منظاره على عينيه ·· وأجال البصر حوله ·· وعندئذ رأى سالم يره بالعين المجردة ·· رأى سفينة حمراء عظيمة تشق عباب البحر في الطريق اليه ··

كانت هي السفينة « الميرانتي » التي غادر « تورتوجا » خصيصا لمطاردتها واقتناصها ··

لابد أن يكون قد سبقها دون أن يشعر وهو يجد في اثرها ··

ولكن الواقع ·· ان العاصفة فاجأت « الميرانتي » في عرض البحر ، فدلف بها بلود الى خليج « سامانا » ، وقبع بها هناك حتى هبطت العاصفة ·· وهدأت ثورة الطبيعة ··

بيد ان ايسترلنج لم يكن يهمه أن يعرف ماذا حدث للسفينة ··

انه رآها تبرز له على غير انتظار ·· وذلك في اعتقاده دليل من أدلة التوفيق الذي أخطأه طيلة الشهور الاخيرة ··

فلينتهز الفرصة اذن ·· ولينتقل بغنيمته الى هذه السفينة الحمراء العظيمة المنيعة ··

وشعر بأن الوسيلة الوحيدة للاستيلاء على سفينة عظيمة كاملة الصلاح كالسفينة « الميرانتي » ·· هي أن يقتنصها دون ان يستهدف لنيرانها ·· كما اقتنص « سانتا بربارا » ·· وما أيسر ذلك على سفينه الخفيفة السريعة « افنتير » · وعلى مساعده البارع « شارد » ··

وأصدر ايسترلنج أوامره الى « شارد » وكان هذا يلتهب شوقا الى تصفية الحساب مع الكابتن « بلود » ·

ذلك الرجل الخبيث الذي عرف كيف ينساب من بين أصابعهم كسياب الماء ·

وأرسل « بلود » البصر من خلال منظاره · ورأى الحركة النشيطة التي بدأت على سطح « افنتير » · وفهم مغزاها ·

وكما وجد « شارد » ان انتصاره معلق بمناورات بارعة تتيح له الاقتراب من « الميرانتي » والوصول الى سطحها · كذلك وجد « بلود » ان من الضروري أن يعتمد على نيران مدافعه فحسب ·

وهكذا اختلفت غاية الخصمين ، فقام « شارد » بحركة التفاف ترمي الى وضع سفينته مع اتجاه الريح ليتسنى له الانقضاض على « الميرانتي » وشعر (بلود) بغرضه · وأمر « اوجل » قصوب مدافعه · وتأهب لانتهاز أول فرصة يستهدف فيها أحد جانبي « افنتير » لنيران مدافعه ·

ولاحظ « شارد » ذلك في الوقت المناسب ·· فعض شفتيه غيظا وحنقا ·

ذلك لان « بلود » كان يمتاز عنه بأنه يسير في اتجاه الريح ·

واضطر « شارد » أن يعدل عن مناورته الاولى · ولم يكن في استطاعته أن يطلق النار على « الميرانتي » لانه يريدها سليمة من كل عطب

وفي هذه الاثناء كانت « الميرانتي » تطوي المسافة التي تفصلها عن « افنتير » ·

وأدرك (شارد) أنه اذا لم يعمل بسرعة ·· فانه يجد نفسه بعد قليل في متناول مدافع « الميرانتي » ·

حول سكان سفينته نحو الجنوب الشرقي ·· وأخذ يبتعد عن « الميرانتي » بكل سرعة ·

ورأى « ايسترلنج » ذلك ، ولعن « شارد » ، ولعنه أكثر حين رأى « الميرانتى » تنشر أشرعتها جميعا وتطارده .

وعاد « شارد » الى مناورته الاولى ، وحاول أن يقوم بحركة التفاف أخرى .. لكى يسير فى اتجاه الريح .. ويطارد غريمه بدلا من أن يطارده غريمه .

ولكن « بلود » فطن الى حيلته مرة أخرى .. وقطع عليه السبيل واضطره أن يعود الى الفرار .

ومازالت السفينتان تبتعدان .. حتى غابتا عن بصر ايسترلنج .. وهو يروح ويجىء على سطح السفينة « سانتا باربارا » ويكاد أن يتشقق غيظا ..

واستمرت المطاردة .. وشارد ينعن الريح التى تناصر « بلود » .. وينعن « بلود » الذى عرف كيف يستغل مركزه ، وكيف يفوت على غريمه كل فرصة ممكنة .

وانقضت ساعة .. وشعر بلود بالملل والسأم .. قال محدثا هاجثورب :

ـ الى متى نستمر هذه المناورة ؟! أخشى أن تهبط الريح فنصبح تحت رحمة غريمنا الذى يمتاز عنا بوفرة رجاله وسرعة سفينته وخفتها .

وقبل أن يجد « هاجثورب » جوابا ، وقع بصر « بلود » على سفينة تخرج بغتة من خليج « سبادا » .

كانت سفينة قوية عظيمة .. يطل من أحد جانبيها عشرون مدفعا وتخفق فوقها الراية الاسبانية .

ورأى « هاجثورب » هذا العدو الجديد فهتف :

ـ هذه هى نهايتنا بغير شك .

قصمت « بلود » قليلا .. ثم ضحك وأجاب :

ـ بل أظن أن هذه بدايتنا ..

ثم صاح بولفستون بصوت كقصف الرعد :

ـ ارفع الراية الاسبانية ..

وأصدر أمره الى أوجل :

ـ اطلق المدافع على « الفنتير » ..

وفى الحال .. دوت المدافع بصوت كقصف الرعود ، وارسلت من افواهها اربعين سيلا من اللهب ..

ولما انقشع الدخان .. كانت الراية الاسبانية تخفق فوق السفينة « الميرانتى » ..

كانت السفينة الاسبانية التى برزت فجأة من خليج « سبادا » هى احدى قطع الاسطول الاسبانى الذى يقوم بحراسة الشواطىء .. وقد فهمت مما رأته .. ان هناك سفينة اسبانية مثلها ، تطارد سفينة انجليزية يحتمل أن تكون من سفن القراصنة ، فلم تتردد ، وخفت فى الحال لمعونة زميلتها التى ترفع الراية الاسبانية ، واطلقت مدافعها على السفينة « الفنتير » فى الوقت الذى كانت تتاهب فيه للفرار من هذا الخصم غير المنتظر .

وارغى « شارد » وأزبد حين رأى أشرعة سفينته تتمزق وسمع القنابل تصفر فوق رأسه .

أمر رجاله أن يقابلوا السفينة الاسبانية بالمثل ، ففعلوا ، ولكن نيران مدافعهم لم تصبها بتلف يعطل سرعتها .

وحمى وطيس القتال .. وانتهز « بلود » فرصة انشغال « شارد » بحشو مدافعه ، فطوى أكثر المسافة التى تفصله عنه ، ثم أمر « أوجل » ان يضرب « الفنتير » ليغرقها .

واصاب « أوجل » الهدف .. واحدثت فى

جدار « افنتير » ثغرة واسعة تدفق منها الماء ٠

وشعر « شارد » بأنه هالك لا محالة ٠٠ ولكنه لم يقطع الرجاء ، وتفتق ذهنه في اللحظة الاخيرة عن حيلة ٠٠ فأمر رجاله بأن يرفعوا الراية البيضاء علامة التسليم ٠٠

وكان غرضه أن تسرع السفينة الحربية لاقتناصه ٠ فينتظر رجالها حتى يصعدوا الى سطح سفينته ٠٠ ثم ينقض عليهم باعوانه ، ويبيدهم عن آخرهم ٠٠

ولعل بلود ادرك حيلته ، ولعله أشفق أن يقع « شارد » في قبضة السفينة الحربية الاسبانية ، فيدلي اليها بمعلومات تفضح حقيقة السفينة « الميرانتي » ٠

وسواء كان هذا أو ذاك ، فقد عرف بلود كيف يقابل جميع الاحتمالات ، وأمر « اوجن » بأن يعجل باغراق « افنتـــير » ٠٠

ولا شك أن السفينة الحربية قد أدهشها أن تواصل زميلتها اطلاق النار على سفينة القراصنة بعد استسلامها ، ولكنها لم ترتب في الامر ٠٠ ٠٠

أما « شارد » فانه لم يجد متسعا من الوقت لاية مناورة من أي نوع ، وكان كل همه أن ينقذ حياته وحياة رجاله ، فأمر بالقاء المدافع في اليم لتخفيف ثقل السفينة ، ثم حول السفينة شطر ـ سبادا ـ وابتهل الى الله أن يصل الى الشاطىء قبل أن تمتلىء سفينته بالماء ٠٠

واذا كانت السفينة الحربية قد ادهشها أن تطلق ـ الميرانتي ـ مدافعها على سفينة مغرقة ، فقد تضاعفت دهشتها الان ، حين رأتها تدور حول نفسها ، وتشق طريقها نحو الغرب ٠٠

ولكنها أيضا لم ترتب في أمرها ، فلعلها عادت الى استئناف رحلتها العادية ، ولعلها لا تجد متسعا من الوقت

للتفاهم ٠٠

وبعد ساعتين ٠٠٠ كان الكابتن ايسترلنج في الانتظار بين خليج ـ رافنيل ـ ورأس ـ انجانو ـ حين رأى منظرا ملأه دهشة وذعرا ٠

رأى السفينة الحمراء العظيمة تشق طريقها اليه ٠٠

كان قد سمع دوي المدافع على مبعدة ٠ وتوقع عندما ساد السكوت أن تكون ـ الميرانتي ـ قد وقعت في قبضة شارد ٠ وهو لذلك لم يصدق عينيه حين رأى هذه السفينة تختال على سطح الماء ٠٠ وليس بها عطب ٠ وليس فيها أحد من رجاله ٠

اذن ماذا حدث لشارد ؟ !

ترى هل سمح للكابتن ـ بلود ـ باغراقه ؟ !

وانتقل من التفكير في ذلك الى التفكير فيما هو أهم ٠

ترى ما الغرض الذي يرمي اليه ـ بلود ـ الان ؟ !

واضطرب ظهرا لبطن ٠ وجن جنونه حين فكر في الخطر الذي يهدد غنيمته الثمينة ٠

وبدا له أن الحظ لم يبتسم له على الاطلاق ٠ ولكنه سخر منه ٠٠ وسمح له فقط بأن يلمس بيده شيئا لا يستطيع الاحتفاظ به ٠٠

وكأنما لم يكن في هذا الحرج ما يكفي لاخراجه عن عقله ٠ فثارت ثائرة اعوانه وتمردوا عليه بايعاز عملاق من رجاله يدعى ـ جانتج ـ وأخذوا عليه جشعه المفرط الذي جر عليهم خطر الموت أو الاسر ٠٠ في حين كان ينبغي عليه أن يقنع بالغنيمة ٠ ويجتنب مواطن الخطر ٠ ويحتفظ بالسفينة ـ افنتير ـ لحماية الغنيمة ٠ ويقلع عن فكرة الاستيلاء على ـ الميرانتي ـ ٠

وقد قالوا له ذلك في صراحة قاسية ٠ وبلهجة تنم عما

يعتمل فى نفوسهم من الحنق والغيظ ، وشعر ايسترلنج بانهم على حق ، ولم يجد ما يجيب به غير الشتم .

وفى هذه الاثناء ، كانت ـ الميرانتى ـ قد اقتربت ، ولوحت برايتها تأمرهم بالوقوف والتسليم .

وغاص الدم من وجه ـ ايسترلنج ـ ولكن ـ جانتج ـ افهمه ان لا فائدة من العناد ، ولفته الى ان الكابتن ـ بلود ـ لايعلم ما تحمله ـ سانتا باربارا ـ وانهم اذا نزلوا على ارادته ، فقد يسمح لهم بمواصلة السير .

واطلقت « الميرانتى » الحمم فيها على سبيل الانذار ، فلم يجد ايسترلنج بدا من الطاعة ، وامر بوقف السفينة

وعندئذ لوحت « الميرانتى » بما يفيد أنها تطلب الى قبطان « سانتا باربارا » ان يذهب اليها بنفسه ، فامر جانتج رجاله فنزلوا احد القوارب وأرغم ايسترلنج بغدارته على الهبوط الى القارب ، وأرسل معه ستة من البحارة .

وصعد « ايسترلنج » الى سطح السفينة « الميرانتى » وفى عينيه نظرة تنم عن الرعب الهائل الذى يعتمل فى نفسه .

ووجد الكابتن بلود فى انتظاره وخلفه نفر من اعوانه .

قال بلود وعلى شفتيه ابتسامة :

ـ هانذا تقف حيث كنت ترجو دائما ان تكون يا كابتن هانذا على سطح السفينة « الميرانتى »

فزمجر ايسترلنج ، وبسط اصابعه وقبضها ، كانه يفكر فى أن يصبق على عنق غريمه .

قال الكابتن بلود :

ـ ان من الخطأ ياكابتن أن تحاول الاستيلاء على اكثر

مما تستطيع الاحتفاظ به بسهولة ، كثيرون غيرك حاولوا مثل ذلك ، وخرجوا من المحاولة صفر الايدى .

انك كنت تملك سفينة بديعة سريعة ، هى السفينة « افنتير » وكا ينبغى ان تقنع بها ، ومما يؤسف له انها لن تشق عباب البحر بعد الان لانها غرقت .

ثم سأل فجأة :

ـ كم عدد الرجال الذين معك ؟

واضطر ان يكرر هذا السؤال قبل ان يجيبه ايسترلنج ، بان معه اربعين رجلا .

سأل :

ـ وكم عدد القوارب التى بالسفينة ؟

ـ ثلاثة قوارب ..

ـ انها تتسع لك ولرجالك ، فمرهم ان يحتشدوا فى هذه القوارب الصغيرة ، اذا كانوا حريصون على حياتهم ، سأمهلهم خمس عشرة دقيقة قبل أن اغرق السفينة ، ويجب أن اغرقها حتى لاتتخذها بعد الان محمية لشرورك وآثامك .

فاحتقن ايسترلنج فى غضب بالحنق الذى يستهدف له هو ورجاله .. اذا اضطر ان يهبط بهم على شواطىء « هسبانيولا » حيث تترصدهم السلطات الاسبانية لتبطش بهم .

واسكته بلود بقوله :

ـ انى رحمتك كما لم ترحم أحدا ممن اوقعهم سوء الحظ بين يديك فانتهز فرصة ضعفى .. واستفد من رحمتى قبل ان أعدل عن رأيى .

ولكن ايسترلنج لم ينصرف فى الحال .. بل ظل واقفا يترنح .. واصابع يديه تنثنى وتنبسط بحركة عصبية

منتظمة ٠
واخيرا حزم رايه على أمر ٠
قال :
ـ اترك لي هذه السفينة ٠٠ ومتى دخلت الى تورتوجا نقدتك خمسين الف قطعة ذهبية ٠
ذلك خير لك وابقى من تركنا في العراء ٠
فقال بلود بحدة :
ـ اليك عني ٠
فصاح ايسترلنج :
ـ اذن أنقدك مائة الف ٠
فهتف بلود ،
ـ ولماذا لا تعدني بمليون قطعة ذهبية ؟؟ ما أيسر ان تعد ٠٠ وما أيسر أن تخلف الوعد ٠
لقد كنت أصدقك يا كابتن ايسترلنج ٠٠ لو انني أعلم انك تملك مائة الف قطعة ذهبية ٠
فضاقت عينا ايسترلنج ٠٠ وانفرجت شفتاه بما يشبه الابتسام ٠٠
اذا لم يكن في الاستطاعة عمل شيء دون التصريح بالحقيقة ٠٠ فلافضل الا يعمل شيئا على الاطلاق ٠
وليغرق بلود السفينة وكنزها فقدضاع هذا الكنز على كل حال ٠
قال في هدوء :
ـ أرجو ان نتقابل مرة أخرى يا كابتن بلود ٠٠ ومتى تقابلنا ٠٠ حدثتك باشياء ستوف تشعرك بالندم والاسف على ما أنت فاعل الان ٠
فاجاب بلود :
ـ اذا تقابلنا مرة أخرى ٠٠ فلاشك عندي ان مقابلتنا

ستوف تستوجب الاسف ٠٠ طاب يومك يا كابتن ايسترلنج ٠٠ انني امهلتك خمس عشرة دقيقة ٠٠ فلا تنس ذلك ٠
قهز ايسترلنج كتفيه ٠ وهبط الى القارب ٠٠ وعاد به الى السفينة ٠
وما كاد يحدث رجاله بما كان بينه وبين « بلود » ٠ حتى ثارت ثائرتهم ٠٠ واغضبهم ان تفلت الغنيمة من بين أيديهم بهذه البساطة ٠
وسمع « بلود » جلبتهم ٠٠ وابتسم ساخرا ٠٠ دون أن يفطن الى سبب حنقهم ٠٠
ولكنه دهش ٠ حين لاحظ ان القراصنة قد غابوا فجأة ٠ ولم يبق منهم على سطح السفينة أحد ٠٠
كانوا قد اسرعوا الى جوف السفينة ليحملوا من الذهب كل ما يمكن حمله ٠
وطال غيابهم ٠ حتى شعر بلود بالقلق ٠
قال :
ـ اطلق أحد مدافعك على مؤخرة السفينة يا أوجل ٠٠ هؤلاء الاشقياء بحاجة الى من يحثهم على الاسراع ٠
فاطاع أوجل ٠٠ واطلق المدفع ٠٠ وانقضت القنبلة على مؤخر السفينة فمزقته ٠
وهرول القراصنة الى سطح السفينة ٠٠ وهبطوا الى القوارب ٠ واعملوا المجاديف في جوانبها ٠
كان عليهم ان يجتازوا ثلاثة اميال قبل أن يصلوا الى الشاطىء ٠
وانتظر بلود حتى ابتعدت القوارب ٠٠ ثم أصدر امره باغراق السفينة ٠
بيد ان هاجثورب أمسك بساعده فجأة وصاح :

ـ صبرا ٠٠ صبرا يا رجل ٠٠ وانظر ٠٠

وشد ما كانت دهشة الكابتن بلود حين أرسل بصره نحو « سانتا باربارا » ورأى على سطحها رجلا عارى الرأس ، يلوح بيديه فى يأس ٠٠

ووضع بلود المنظار على عينيه ٠٠

كانت ثياب الرجل وتقاطيع وجهه ، تدل على انه يختلف كل الاختلاف عن الطغمة التى تعمل تحت أمرة ايسترلنج ٠

قال :

ـ لاشك انه أحد الاسبانيين الذى كانوا بالسفينة عندما استولى عليها ايسترلنج ، ولا شك ان ايسترلنج قد نسى ان يجز عنقه ٠

وأمر (دايك) ـ وهو يعرف القليل من الاسبانية ـ أن ينطلق بثلاثة من أعوانه لاحضار ذلك الاسبانى ٠

وكان الدون الفونسو قد تمكن من التخلص من وثاقه ، ووقف فى مؤخرة السفينة فى انتظار القارب بفارغ الصبر ٠

كان يرتجف انفعالا وسرورا بنجاته ، ونجاة سفينته ، ومحنتها ٠٠

نعم ٠٠ كان يعتقد انه نجا بأعجوبة ، ذلك لانه رأى الراية الاسبانية تخفق على سطح الميرانتى ، فانخدع بها كما انخدعت السفينة الحربية من قبل ٠٠

وكان لا يزال تحت تأثير هذا الاعتقاد حين وصل اليه ـ دايك ـ فراح يسرد عليه قصته بصوت مرتجف من الفرح والانفعال ، وحدثه عن شحنة الذهب ، وطلب اليه أن يعيره عشرة رجال يستعين بهم على تسيير السفينة الى ـ سان دومينجو ـ ٠

ودهش ـ دايك ـ حين سمع هذه القصة ، ولكنه ملك نفسه ، ولم يسرف فى الكلام حتى لا يفضح جهله باللغة الاسبانية ، وبالتالى يفضح حقيقة أمره وأمر رجاله ٠٠

قال :

ـ حسنا ٠٠ سأنبىء القبطان بكل هذا ٠٠

وعاد برجاله الى الميرانتى ٠

وما كاد بلود يسمع القصة ويهضمها ٠ حتى ضحك وقال

ـ واذن فذلك ماكان فى نية ايسترلنج أن يقوله لى حتى تقابلنا ٠ لقد قوتنا عليه هذا الانتقام أيضا ٠

وبعد عشر دقائق ، كانت ـ الميرانتى ـ واقفة لصق ـ سانتا باربارا ٠٠

ورآها ايسترلنج ورجاله فحبسوا انفاسهم ٠٠ ثم فهموا ٠٠ وقطبوا حواجبهم ٠

وأرسل ايسترلنج من فمه شتمة قبيحة وصاح :

ـ انه الاسبانى اللعين الذى حدثهم عن شحنة الذهب ٠ تبا لى ٠ ما أشد غباوتى ٠ كان يجب أن أجز عنقه قبل أن أغادر السفينة ٠

ولم يفهم الدون الفونسو الغرض من مناورة (الميرانتى) ولكنه أصغى الى الكابتن بلود وهو يوضح وجهة نظره باللغة الاسبانية الصحيحة ٠

قال الكابتن انه لا يستطيع أن يعبر ، سانتا باربارا ، احدا من رجاله ٠ لان عددهم محدود ٠ وانه لا يستطيع كذلك أن يترك هذه السفينة فى عرض البحر ٠ لئلا يعود اليها القراصنة ويستولوا عليها ٠ وانه لا يملك فى الوقت الحاضر الا أن ينقل شحنة الذهب الى (الميرانتى) ثم يغرق ـ سانتا باربارا ـ

آما هو ـ اى الدون الفونسو ـ وزملاؤه الخمسة الذين تركهم ـ ايسرلنج ـ مشدودى الوثاق فى قاع السفينة · فانهم سيكونون ضيوفا على ـ الميرانتى ـ حتى تذهب بهم الى ـ تورتوجا ـ ولهم اذا شاءوا أن يستقلوا قاربا يحملهم الى هسبانيولا ·

وقد كان هذا الحديث من أعجب ما سمعه الدون الفونسو فى ذلك اليوم الحافل بالعجائب ·

هتف :

ـ تورتوجا ؟ تقول ان فى نيتك الابحار الى « تورتوجا » ؟؟ ولكن ماذا تريد أن تفعل هناك ؟

حدثنى بحق السماء ·· من أنت ·· وما أنت ؟

ـ أما من أنا · فاننى ادعى بيتر بلود · وأما « ما » أنا ·· فذلك ما ليس لى به علم ·· لاننى لا أكاد أعرف نفسى ·

فتبلجت الحقيقة للدون الفونسو · وامتقع وجهه · سأل

ـ أنت انجليزى ·· اليس كذلك ؟ ··

فأجاب بلود وهو يرفع رأسه بكبرياء :

ـ كلا ·· ان لى كل الشرف بان اكون ايرلنديا ··

ـ وهل ثمة فارق بين الاثنين ؟؟

ـ ان الفارق أعظم مما تتصور ··

فقلب الاسبانى شفته · وقال بلهجة المحنق :

ـ سواء كنت انجليزيا أو ايرلنديا ·· فانت قرصان لعين ·

الفصل الثالث

رسول الملك

هبط على شاطىء (سانتياجو) رجل طويل القامة يتبعه زنجى يحمل على كتفه حقيبة ·

كان الرجل قد وصل الى الشاطىء فى قارب صغير جاء به من السفينة العظيمة التى وقفت بعيدا عن الميناء ··· والراية الاسبانية ترفرف فوقها ·

وما أن هبط الرجل على الشاطىء ·· حتى تحول البحارة بالقارب ·· وعادوا به أدراجهم الى السفينة ·

ونظر المتسكعون فى الميناء الى القادم فى كثير من الدهشة ·

كان مظهره يلفت النظر ويملأ العين حقا ·· فهو كما قلنا مديد القامة متين البناء ·· يرتدى ثوبا أسبانيا موشى بالذهب والفضة ·· وشعره الاسود الطويل يتدلى على كتفيه ·· وقبعته تظلل عينيه · وتتلاعب فى قمتها باقة من ريش النعام الاسود · وفى يده عصا من الابنوس الاسود المطعم بالذهب ·

ومشى الرجل فى الميناء مشية الواثق من نفسه ·· غير آبه بحرارة الجو ·· ورأى ثلة من الجنود تتولى حراسة جماعة من العبيد يشتغلون بتعبيد الطريق ·· فاقترب من كبير الجند ·· وسأله عن منزل الحاكم ·· فأوعز هذا الى أحد رجاله أن يرافقه ويرشده الى الطريق ·

وسار الرجل فى أثر الجندى ·· واجتاز معه طريقا تحف به منازل وأبنية يخيل للناظر اليها أنها نقلت من أسبانيا الى هذه المستعمرة ·· ثم أشار الجندى الى منزل كبير أبيض ·· تحيط به حديقة واسعة مليئة بالنخيل ··

ومر الرجل من الباب الحديدى الكبير المؤدى الى الحديقة وما أن أشرف على المنزل الابيض حتى خف لاستقباله زنجى عملاق يرتدى ثوبا متعدد الالوان .

واستفسر الزنجى عن اسم الزائر .. ثم هرول الى مكتب الحاكم .. وأعلنه بقدوم الدون بدرو دى كيروز .. فى مهمة من لدن جلالة ملك اسبانيا .

ولم يكن من المعتاد فى كل يوم أن يفد على سانتياجو ، رسول لمن لدن جلالة ملك اسبانيا .. والواقع ، ان هذه كانت أول مرة ينفذ فيها الملك رسولا الى هذه المستعمرة الصغيرة ، لذلك دهش الدون جايم دى فيلامارجا ـ حاكم سانتياجو ـ حين أنباه الخادم بقدوم الرسول ، ولم يدر هل يفزع لهذه الزيارة غير المنتظرة أو يفخر بها .

والدون جايم رجل متوسط القامة .. كبير الرأس ، متوسط الذكاء ، وهو من أولئك الرجال الذين يقدمون لاسبانيا اعظم الخدمات بالابتعاد عنها ، لا شك أن هذه الحقيقة قد وضعت موضع الاعتبار عند تعيينه حاكما لسانتياجو .

ولم يكن وجود رسول الملك من الامور التى تزعزع الدون جايم عن صدفه ، وكبريائه ، واعتداده بنفسه ، فنهض ببطء لاستقبال الرسول ، ورافقه راهب متقدم فى السن كان يجاذبه أطراف الحديث قبل أن يفاجأ بهذه الزيارة .

وشد الدون جايم على يد الدون بودرو دى كيروز وقال بصوت من يتكلم وهو ممتلىء الفم :

ـ يسرنى أن أرحب بك يا سيدى .. وأن أشعر من وجودك بان جلالة مولاى الملك يشرفنى بثقته ورضاه .

فاحنى الدون بودرو قامته باحترام . وقال وهو يضع قبعته وعصاه بين يدى احد الخدم الزنوج :

ـ الواقع اننى ما جئت الا لانهى اليك ثقة جلالة الملك ورضاه . ومن حسن الحظ اننى استطعت الوصول أخيرا بعد كثير من المغامرات لكى أؤدى المهمة الجليلة التى ناطها بى مولاى ..

اننى وصلت الان بالسفينة (سان توماس) . وقد استانفت السفينة رحلتها الى (سان دومنجو) .. ولن تعود قبل ثلاثة أو أربعة أيام ، وأرانى لذلك مضطرا أن أثقل على ضيافتك .. وأتطفل على كرمك خلال هذه المدة .

فانفرجت شفتا الدون جايم الغليظتان عن ابتسامة وقال وهو يشير الى أحد المقاعد :

ـ اننى أرحب بزيارتك يا سيدى .

وصمت .. وانتظر أن ينقل اليه الزائر رسالة الملك .. ويحدثه عن الغرض من زيارته .

ولكن الزائر لم يتعجل .. بل تهالك على المقعد .. ونظر فى عدوء الى محتويات الغرفة من أثاث وضاغس . ومقاعد وصور . ثم قال وهو يضع ساقا على ساق :

ـ اظن أن بيننا صلة قرابة يا دون جايم .

فحملق الدون جايم فى العينين الزرقاوين الثاقبتين اللتين تنظران اليه . وأجاب :

ـ لم أكن أعلم أن لى هذا الشرف .

فقال الدون بدرو :

ـ ان زواجك يا سيدى هو صلة القرابة .. فانا من ابناء عمومة الدونا هرناندا زوجتك .

فهتف الدون جايم :

ـ اه .. زوجتى ..

وكان صوته ولهجته ينضحان بمبلغ احتقاره لزوجته وأقاربها ٠

وأردف :

ـ واذن فانت (برتغالى) كالدونا فرناندا ٠

وكانت لهجته تعبر أيضا عن احتقاره للبرتغاليين ٠ ولا سيما البرتغاليون الذين يعملون فى خدمة ملك أسبانيا ٠

قال الدون بدرو :

ـ انني نصف برتغالي ٠٠ واسرتى ٠٠

فقاطعه الدون جايم :

ـ نعم ٠٠ نعم ٠٠ ولكن مانوع الرسالة التى تحملها الى من لدن الملك ؟ ٠

فقال الدون بدرو بشيء من التهكم :

ـ طبعا ٠٠ طبعا ٠٠ ان لك كل الحق فى أن تشعر بالقلق ٠٠ فمعذرة اذ اكنت تطفلت بالكلام عن العلاقات العائلية ، فاصغ اذن الى رسالتى ٠٠

لن يدهشك طبعا أن تعلم أن مولانا الملك حفظه الله (واحنى رأسه ٠ فاضطر الدون جايم أن يحذو حذوه) قد تلقى تقريرات تتضمن ثناء عاطرا على ادارتك الحازمة ٠ وبالاخص على الجهود العظيمة التى تبذلها لتطهير البحار من القراصنة الانجليز الذين يضايقون سفننا ٠ ويزعجون ضمانيتنا مستعمراتنا ٠

ولم يجد الدون جايم فى هذا الاطراء ما يدهشه ٠

كان مغفلا بالغريزة ٠ وقد أسدل الصلف والغرور على عينيه غشاوة ، فلم يشعر قط أن سانتياجو هى أسوأ المستعمرات الاسبانية ادارة ونظاما ٠

أما عن تطهير البحار ٠ فانه قد شجع فعلا على مطاردة القراصنة ٠ وابادتهم ٠ واحرز بعض النصر فى هذا السبيل فى المدة الاخيرة ٠

وشعر الدون جايم بأن من حقه على نفسه أن يدعم حسن ظن الملك به ٠ فقال أن سانتياجو تنعم فى ظله بحكومة عادلة لا تدخر وسعا فى العمل على بسط الطمأنينة ٠ وتعميم الرخاء ٠ وأن الراهب ـ لويس ـ (وأشار الى الراهب المتقدم فى السن) يستطيع أن يؤيد ذلك ٠

أما عن ابادة القراصنة ٠ فانه يعمل فى هذا السبيل كل ما يستطيع رجل فى مثل مركزه أن يعمله ٠ ولم يقنع بذلك ٠ بل عمد الى تحصين البناء ٠ وشيد عند مدخلها قلعة حصينة لابد أن يكون الدون بدرو قد رآها بنفسه ٠

وهذه القلعة وان يكن بناؤها لم يتم بعد ٠ فانها تكفى فى حالتها الراهنة لادخال الرعب فى نفوس القراصنة ٠ ولن يجرؤ الكابتن بلود نفسه على الاقتراب من الميناء ٠ سيما بعد الدرس الذى تلقاه أخيرا ٠ فقد ثبت الان لهذا القرصان اللعين ان حاكم سانتياجو ليس بالرجل الذى يستهان به ٠

وتكلم الدون جايم عن الدرس الذى ألقاه على الكابتن بلود ٠ فقال أن نفرا من أعوان هذا القرصان تجاسروا منذ أيام على الهبوط على الشاطىء الجنوبى ٠ فأرسل عليهم جنوده فتكلوا بهم تنكيلا ٠٠

وضحك الدون جايم حين تذكر الدرس القاسى الذى القاه على القراصنة ، ورأى الدون بدرو من الادب أن يضحك معه ٠٠

ثم سأل :

ـ ومما لا شك فيه أن جنودك فتكوا بأولئك القراصنة الاوغاد ٠ ؟

فأجاب الدون جايم بحدة :

ـ كلا ٠٠ كلا ٠٠ اننا لم نفتك بهم بعد ٠٠ ان عددهم

ستة ، وقد أرسلت بهم الى السجن ٠٠ ولم نبت فى مصيرهم بعد ٠ وقد كنت أتحدث الى هذا الراهب فى التو واللحظة فيما يجب عمله ٠٠ وهل نقتلهم شنقا أو رميا بالرصاص ٠٠

فهز الدون بدرو كتفيه ٠ كأنه سئم الحديث ٠٠ وقال :

ـ هذا حسن ٠٠ هذا حسن ٠٠ هل تسبدى الحاكم أن يصغى الى خاتمة رسالتى ٠٠ ؟

وضايق الدون جايم أن يشعر بأنه أطال الحديث أكثر مما يجب ، فأحنى رأسه أمام ممثل الملك ، وقال ببرود :

ـ أرجو المعذرة ٠

ولكن الدون بدرو لم يعبأ ببروده واعتذاره ٠ وأخرج من جيبه علبة من الجلد ، وورقة كبيرة قد طيت طيا اسطوانيا ٠٠

قال :

ـ أرى لزاما على أن أتحدث اليك عن رحلتى على سبيل الايضاح فقد قلت ـ ولعلك لم تلاحظ قولى ـ انى وصلت الى هنا بعد كثير من المغامرات ٠٠ أوالوقع ٠٠ ان وصولى على الاطلاق يكاد أن يكون ضربا من المعجزات ٠٠ فقد كنت بدورى ضحية لذلك القرصان اللعين ٠٠ الكابتن بلود ٠٠

لقد أغرق هذا القرصان السفينة التى أبحرت بها من أسبانيا ٠٠ ولكنى كنت أسعد حظا من ابن عمى الدون رودريجو كيروز الذى كان معى فى ذات السفينة ، فانني استطعت الفرار ٠ أما ابن عمى فانه لا يزال أسيرا بين أيدى القراصنة ٠٠

ولقرارى قصة طويلة ليس فى نيتى أن أضايقك بسردها ٠٠

فثار فضول الدون جايم ٠٠ وأنساه الفضول رزانته

وكبرياءه فهتف :

ـ كلا ٠٠ كلا ٠٠ ان قصتك لن تضايقنى ٠٠

ولكن الدون بدرو هز كتفيه بقلة اكتراث وقال :

ـ سأسردها عليك فيما بعد اذا أردت ٠٠ المهم الآن أن تعلم أننى فررت فحسب ٠٠ وان السفينة (سان توماس) التقطتنى من عرض البحر وجاءت بى الى هنا ٠٠ ولولا ذلك ما استطعت أن أضطلع الآن بالمهمة التى انتدبنى فيها جلالة الملك ٠

ثم بسط الورقة المطوية وقال :

ـ لقد ذكرت لك كل هذا ٠٠ لاوضح لك سبب وصول ماء البحر الى هذه الرقة ٠٠ ومن حسن الحظ أن الماء لم يتلف الورقة بحيث تتعذر قراءتها ٠٠

هذه رسالة من وزير الدولة تنبئك بأن جلالة الملك حفظه الله قد تفضل فأنعم عليك بوسام القديس جيمس اعترافا بجهودك وخدماتك ٠

فامتقع وجه الدون جايم ٠٠ ثم احمر ٠٠ وتناول الورق باصابع ترتجف وبسطها ٠٠

كان الماء قد أتلفها بغير شك ٠٠ وأزال بعض عباراتها ٠ وجعل من اسمه لطخة قذرة لا يمكن حل طلاسمها ، ولكن بعض العبارات الاخرى كانت واضحة وصريحة فى التعبير عن الثناء والتقدير ٠٠ كذلك كان اسم الملك واضحا جليا ٠٠

ولما رفع الدون جايم رأسه أخيرا ٠٠ قدم اليه الرسول تلك العلبة المصنوعة من الجلد ٠ وضغط على زر فيها فارتفع غطاؤها ٠٠ وظهر الوسام فى داخلها ٠ وتألقت أحجاره الكريمة تألقا يبهر البصر ٠

قال الرسول :

ـ هو ذا الوسام يا دون جايم ٠٠ وهو أسمى أوسمة

الدولة كما تعلم ٠

فتناول الدون جايم العلبة في رفق وحذر واهتمام كما يتناول شيئا مقدسا ٠٠

واقترب الراهب ٠ وتأمل الوسام ٠ وغمغم بضع كلمات على سبيل التهنئة ٠٠

كان الدون جايم على استعداد لان يرحب بأى وسام يمنح اليه ، مكافأة له ، ومكافأة غير منتظرة ، على خدماته للتاج الاسبانى ٠٠ أما ان يمنح اسمى أوسمة الدولة ، فذلك ما يفوق آماله ، واعتقاده فى كفاءته ٠

استولى عليه هلع مؤقت ٠ من جسامة النعمة التى هبطت عليه ٠

وانه لا يزال فى دهشته وهلعه ٠ اذا بالباب يفتح ٠ واذا بسيدة صغيرة الجسم ٠ جميلة التقاطيع تنفذ من الباب ٠ ثم تقف وسط الغرفة فى تردد وخجل ٠٠

ولم يطل ترددها فقد قالت بعد لحظة :

ـ عفوا يا دون جايم ٠ لم اكن اعلم انك مشغول ٠

فنظر الدون جايم الى الراهب وقال ساخرا :

ـ انها لم تكن تعلم اننى مشغول ٠٠ أنا حاكم سانتياجو ٠٠ وممثل الملك فى هذه الجزيرة ٠ وزوجتى لا تعلم اننى مشغول ٠ وتظن اننى أقضى وقتى فى اللهو والعبث

ثم التفت الى زوجته وقال :

ـ تعالى يادونا هرناندا ٠ وانظرى الى الشرف العظيم الذى تفضل به الملك على خادمه المسكين ٠ ان الملك يعلم ما تجهلين انت من كثرة أعمالى وفداحة مسئولياتى ٠

فاقتربت الدونا هرناندا فى حياء ٠ وسألت فى خجل :

ـ ما هذا يا جايم ؟!

فقال يحقرها ٠ ويسخر منها :

ـ ماهذا ؟ : انه وسام القديس جيمس ٠ وقد تفضل الملك فمنحنى اياه ٠

هذا كل ما هنالك ٠

فشعرت بأنه يتعمد الهزؤ بها ٠ واحمر وجهها المتقع ٠ ولم تتألق عيناها السوداوان الواسعتان الحزينتان ٠ بما يدل على أن وجهها احمر سرورا وانفعالا ٠

قالت فى لطف :

ـ يسرنى أن تنال هذا الشرف ياجايم ٠٠ فدعنى أهنئك ٠٠ اننى مسرورة

فقال الدون جايم ساخرا :

ـ نعم ٠٠ أنت مسرورة ٠ هل سمعت أيها الاب نويس ؟؟ ان الدونا هرناندا مسرورة ٠

ثم التفت الى زوجته وقال وهو يشير نحو الدون بدرو :

ـ هذا السيد الذى حمل الى هذه النعمة ، هو من أقربائك يا هرناندا ٠

فنظرت الى الزائر الانيق ٠٠ ولم تتألق عيناها بنور المعرفة ٠

بيد انها لم تجرؤ على انكاره ٠

لم يكن من الادب أن تنكر قرابة يزعمها رجل عظيم كرسول الملك ، وهى بعد تنتمى الى أسرة كبيرة ٠٠ تضم بين أفرادها كثيرين لم تتح لها فرصة التعرف اليهم ، والاجتماع بهم ٠

ونهض الزائر واقفا ٠٠ وانحنى رأسه باحترام ٠ وقال :

ـ لا شك انك لاتذكرينني يا دونا هرناندا ٠٠ ولكنى مع

ذلك من أبناء عمومتك ، ولابد أن يكون ابن عمنا (رودريجو) قد حدثك عنى ، أنا بدرو دى كيروز

فهتفت بحدة :

ـ أنت بدرو ؟؟ اذن ..

ثم ضحكت وقالت :

ـ انني أذكر بدرو .. فقد كنا نلعب معا فى عهد الطفولة ، على أن شيئا فى صوتها كان ينكره .

ـ قال لها فى غير تردد :

ـ لقد كنا نلعب معا فى « سانتاريم » أليس كذلك ؟

فأجابت .. وقد أدهشتها سرعة خاطره :

ـ نعم .. كان ذلك فى « سانتاريم » ، ولكنك كنت بدينا فى ذلك العهد ، وكان شعرك ذهبيا .

فضحك الدون بدرو وقال :

ـ انني فقدت بدانتى مع الزمن .. أما شعرى فقد صبغته .. لانني أفضل الشعر الاسود .

ـ ذلك لان الشعر الاسود يبرز صفاء عينيك الزرقاوين ، أليس كذلك ؟؟ على أننى لا أذكر أنك كنت أزرق العينين .

فصاح زوجها بصوت كنعيب الغراب :

ـ انك لا تذكرين شيئا على الاطلاق أيتها البلهاء .

فنظرت الى زوجها مؤنبة . وارتجفت شفتاها ، كأنها تهم بالكلام ، ولكنها ضبطت نفسها ، وقالت فى هدوء :

ـ نعم .. هناك أشياء كثيرة لا تنساها المرأة أبدا .

فنظر الدون بدرو الى الحاكم ببرود . وقال بصوت كالثلج :

ـ وبمناسبة الكلام عن الذاكرة .. اقول انى لاأذكر أن فى أسرتها بلهاء ..

فأجاب الدون جايم وهو يضحك بصوت مرتفع :

ـ اذن فوجودك فى سانتياجو كان ضروريا لتكتشف عكس ذلك .

فتنهد الدون بدرو وقال :

ـ ربما لم يكن اخر اكتشافاتى .

وكان فى نبرات صوته ما أزعج الدون جايم . فرفع رأسه بحدة . وسأل وهو مقطب الجبين :

ـ ماذا تعنى ؟

وشعر الدون بدرو دون أن يرفع بصره ـ أن الدونا هرنانديا تنظر اليه متوسلة ـ لكيلا يتصادم مع زوجها .. فأجاب توسلها . وقال وهو يضحك :

ـ لايزال يتعين على ان اكتشف المكان الذى أقيم فيه .. حتى تعود السفينة فتذهب بى الى أسبانيا .

فتحول الدون جايم الى زوجته وقال :

ـ هل سمعت ؟ ان قريبك يذكرنا بواجبنا حيال ضيوفنا .. ولعلك لم تفكرى فى الاستعداد لضيافته .

فأجابت الزوجة :

ـ ان أحدا لم ينبئنى بقدومه .. ولم أكن أعلم انه هنا قبل أن أراه .

ـ حسنا .. حسنا .. ها أنت قد علمت . وستتناول طعام الغداء معا بعد نصف ساعة .

ولما اجتمعوا حول مائدة الطعام .. كان الدون جايم فى أفضل حالاته النفسية ..

وأفضل الحالات النفسية هى فى نظره أن يشمخ الانسان بأنفه .. ويتيه بنفسه عجبا .

ولم يحاول الدون بدرو اخفاء نفوره وتبرمه به .. فانصرف عنه بالتدريج الى زوجته .. خصها من دونه باحترامه واحاديثه .

قال لها :

ـ اننى احمل اليك انباء عن ابن عمنا رودريجو ٠

فقال الدون جايم ساخرا :

ـ نعم ٠٠ نعم ٠٠ انها ترحب بانبائه ٠ لانها تحله من اعتبارها محلا خاصا ٠

فاحمر وجه الزوجة ٠٠ واطرقت برأسها ٠

وخف الدون بدرو الى نجدتها فقال :

ـ كل واحد من أفراد اسرتنا يحل الاخر من اعتباره محلا خاصا ولا يتوانى عن القيام بواجبه حياله ٠٠

قال ذلك هو ينظر فى عينى الدو نجايم بامعان ٠٠ كانه يحثه على أن يستخرج من هذه الكلمات اكثر من معناها الظاهر ٠

ثم اردف :

ـ ولهذا التعاون المتبادل بين أفراد اسرتنا صلة وثيقة بما سأقصه عليك الان يا ابنة العم هرناندا ٠

اننى قلت لك يا دون جايم أن السفينة التى ابحرت بها مع ابن عمى رودريجو قد اغرقها الكابتن بلود ٠٠ وان هذا القرصان اللعين اعتقلنا ولكنى تمكنت من الفرار ٠

ـ نعم ٠٠ نعم ٠٠ انك قلت ذلك ولكنك لم تذكر لى كيف استطعت الفرار ؟

فلوح الدون بدرو بيده فى سأم وقال :

ـ ان التفاصيل لانهم كثيرا ٠ وانا امقت التحدث عن نفسى ٠ ولكنى قد أقص عليك هذه التفاصيل فى وقت آخر أما الان فيهمنى أن أتحدث عن رودريجو ٠

انه لا يزال سجينا بين يدى الكابتن بلود ٠

وصمتت ٠٠ ولاحظ أن وجه الدونا قد امتقع فى الحال ٠

قال :

ـ ولكن ليس ثمة ما يستوجب الانزعاج ٠٠ فهو فى صحة حسنة ولا خوف على حياته ٠

كذلك يجب أن أقول عن تجربة أن الكابتن بلود رغم شهرته المقيتة وبصرف النظر عن اشتغاله بالقرصنة ٠ لا يزال يحتفظ ببقية من الشهامة والشرف ٠

فانفجر الدون جايم ضاحكا بصوت مرتفع وصاح :

ـ بصرف النظر عن اشتغاله بالقرصنة ؟

هذا مضحك حقا ٠٠ ما رأيك فى هذه المتناقضات أيها الاب المحترم ؟ ٠٠

فابتسم الراهب ٠ وصمتت الدونا فرناندا ٠٠

وقطب الدون بدرو حاجبيه ٠٠

قال :

ـ اذا كان ثمة تناقض ٠٠ فهو فى خلق الكابتن بلود ٠ انه لص وقرصان ٠٠ ولكنه لا يقسو على خصومه ٠ ويحرص على كلمة الشرف ٠٠ ولذلك قلت انه لا موجب للخوف على حياة الدون رودريجو ٠٠ فقد اتفق رودريجو مع الكابتن ـ بلود ـ على الفدية التى يطلبها القرصان ٠٠ ووعدت من ناحيتى أن أدبر هذه الفدية ٠٠ ولكنى واثق من أن رودريجو يعامل الان برفق واحترام ٠ بل ان نوعا من الصداقة قد توثق بينه وبين بلود ٠

فصاح الدون جايم :

ـ هذه الصداقة ممكنة ٠ واستطيع أن أعتقد فى وجودها ٠

وتنهدت الدونا هرناندا بارتياح ٠ وغاصت فى مقعدها ٠

وأردف الدون جايم :

ـ لقد كان رودريجو دائما على استعداد لمصادقة الاوغاد ٠٠ اليس كذلك يا هرناندا ؟

فاحمر وجهها ، وقالت :
ـ انني ..
ثم كظمت غيظها ، واستطردت :
ـ انني لم الاحظ ذلك .
ـ انك لم تلاحظي ذلك .. لانك لا تلاحظين شيئا على الاطلاق ..
والان .. اظن انه يجب افتداء رودريجو .. ما قيمة الفدية التي يطلبها بلود ؟
فهتف الدون بدرو وهو يرمق الحاكم بنظرة اكبار ،
ـ هل تريد المساهمة في تدبيرها ؟
فرفع الدون جايم رأسه بحدة .. كانه شن ثعبانا .
قال :
ـ كلا وحق السماء .. فهذا ليس من شأني .. ولكنه من شؤون اسرة كيروز وحدها .
فتلاشت الابتسامة عن شفتي الدون بدرو .. وتنهد وقال
ـ هذا صحيح .. هذا صحيح .. ومع ذلك فقد كنت اظن انك ستساهم في افتدائه .. وانقاذه من ورطته .
فضحك الدون جايم وقال :
ـ انك اخطات الظن .. وعبثا تفكر في الاعتماد علي في هذا الصدد ..
وانصرفوا من قاعة الطعام .. وقصد كل منهم الى غرفته فرارا من قيظ الصيف .. ولم يجتمعوا الا في المساء ، وكان اجتماعهم في قاعة الطعام تحت اضواء عشرات الشموع .
وكان الدون جايم لا يزال في افضل حالاته النفسية .. فراح يخدش اذني ضيفه بدعاباته السمجة ، واتخذ

زوجته هدفا لنكاته الثقيلة .. والزوجة التعسة هادئة صامتة لا تنطق بكلمة ، والضيف يعجب لصبرها ، وسعة صدرها ، واستكانتها
كانت نحيلة ضئيلة في ثوبها الحريري الاسود الذي يبرز جمال وجهها الشاحب ، وعنقها الابيض ، ويكشف عن صدرها الجميل
نظر اليها الدون بدرو .. كما ينظر الى تمثال جميل من المرمر والابنوس
ولم تدب الحياة في ذلك التمثال الا بعد ان رفعت المائدة ، وقصد الدون جايم الى مكتبه لتدبيج رسالة شكر لولاه الملك
ورافقت هرناندا ضيفها الى الحديقة .. وسارت به بين الاشجار
وما ان اطمأنت الى ان احدا لا يسمعها حتى تحولت الى الدون بدرو وقالت في جزع :
ـ احقا ما ذكرت عن الدون رودريجو كيروز ؟! هل هو سجين بين يدي الكابتن ، بلود ، في انتظار الفدية ؟!
ـ نعم .
ـ هل .. هل تقسم بشرفك على انك لم تذكر غير الحقيقة ؟؟ انني اعتقد انك رجل شريف .. لان الملك لا يستخدم لمثل المهمة التي انيطت بك غير الشرفاء .
فدعثر الدون بدرو .. وتردد لحظة .. ثم سأل :
ـ هل ترتابين بي ؟
ـ انك تحملني على الارتياب بك .. لانك لم تصدق في كل ما ذكرت من ذلك مثلا انك زعمت انك قريبي ..
ـ اذن فانت لم تذكريني ؟
ـ انني اذكر بدرو دي كيروز ، ومن المحتمل ان تكون

قد فقدت بدانتك ، ومن المحتمل ان تكون قد صبغت شعر راسك ، كل ذلك جائز ومحتمل ، ولكني مازلت اسأل نفسي ·· كيف يمكن ان يتحول لون عينيك من السواد الى الزرقة ··

نقد كان (بدرو) اسود العينين ·· امـا انت فازرقهما ·

فصمت كمن يفكر ·· ونظرت الدونا هرنانديا الى وجهه الشاحب النبيل ، ولكنه لم يقابل نظرتها ، بل حول بصره نحو البحر حيث كانت السفن تسبح في اشعة القمر ، ثم نظر الى اشجار الحديقة ، والى الانوار المتلالئة في المنزل ··

نظر الى كل شيء · الا وجه المراة الصغيرة الجسم التي تسير معه جنبا الى جنب ··

واخيرا تكلم ، فقال بصوت رقيق :

ـ كنا نعتقد انك قد نسيت لون العينين ··

فهتف في الحال :

ـ كنتم ؟

ـ نعم ·· انا وردريجو ·· انه صديقي ·· وقد كان في طريقه الى (سانتياجو) لزيارتك ·· حين حدث ما حدث ··

ـ وهل هو الذي طلب اليك ان تنتحل شخصية بدرو ؟

ـ سوف يقول لك ذلك بنفسه عند ما يقابلك ··

انه سياتي بعد بضعة ايام ، عند ما ادبر القدية المطلوبة ، وقد طلب الي ان ازعم انني قريبك ، وان اتوب عنه ، اذا قضت الضرورة ، حتى يحضر ··

فاضطربت ·· وراح صدرها يعلو ويهبط بسرعة ··

قالت بعد لحظة :

ـ انك اقدمت على مجازفة خطاء ··

فاجاب على الفور :

ـ ان من واجب الرجل الشريف ان يجازف لخدمة المراة ·

ـ وهل فعلت ذلك خدمة لي ؟

ـ وهل يمكن ان يكون لي غرض آخر ؟ لقد اراداني رودريجو على ان اقوم بهذا الدور ·· ففعلت ·· وسوف يوضح لك غرضه متى جاء ·

اما الان ·· فانني ابن عمك بالنيابة عنه ·· فاذا كان هذا الزوج الغليظ القلب يثقل عليك ب ··

فهتفت في جزع :

ـ ماذا تقول ؟

ـ اقول انني هنا بالنيابة عن رودريجو ·· وفي استطاعتك ان تعتمدي علي ·· كما تعتمدين عليه ·

فاجابت :

ـ شكرا لك يا ابن العم ·

وتركته ومضت

وقضى الدون بدرو ثلاثة ايام في ضيافة الدون جايم ·· وظلت العلاقة بينهما كما كانت منذ اليوم الاول ·

وكان الدون (جايم) يزداد شعورا بخطورة مركزه بعد ان منح ذلك الوسام · فزاد غروره وصلفه تيها لذلك ·· وعمل الدون بدرو من ناحيته على تغذية هذا الشعور ·· فقال له حين اجتمعا على مائدة الطعام في مساء اليوم الثالث :

ـ الراي عندي ان تحتفل بهذه المنحة الملكية الكريمة بعمل يخلد على الايام في تاريخ سانتياجو ·

فاصاب هذا الرأى هوى من نفس الدون جايم ،
واجاب :
ـ صدقت فهذه فكرة مجيدة ·· ولكن اى عمل تقترح ؟
فابتسم الدون بدرو واجاب :
ـ لست انا من يبدى اقتراحا للدون جايم فى هذا الصددولكنى ارى ان يكون العمل الذى تقوم به عظيما ، وجديرا بهذه المناسبة السعيدة
ـ نعم ، نعم ·· ولكن ماذا يمكن عمله ،
وهنا اقترح الاب (لويس) اقامة مأدبة ·· وانتصرت الدونا هرناندا لهذا الرأى ·· ولكن الدون بدرو لاحظ أن مثل هذه المأدبة لا تهم الا الذين يدعون اليها ·· فى حين يجب عمل شىء يترك اثره فى الحياة الاجتماعية فى (سانتياجو) ،
وقال اخيرا :
ـ ما رأيك فى اصدار عفو شامل ؟
فتبادل الثلاثة نظرة دهشة وعجب ·· وغمغموا ،
ـ عفو شامل ؟
فاجاب الدون بدرو
ـ نعم ·· فالعفو من شيم الملوك ، وحاكم سانتياجو هو ملكها ، او نائب الملك فيها ·· فلماذا لا تخلد حضوك على هذا الوسام الرفيع بفتح ابواب السجون ·· كما يفعل الملوك عند تتويجهم ؟
فضرب الدون جايم المائدة بقبضة يده ·· وقال ان ذلك افضل ما يمكن عمله ·· وقرر ان يذيع فى اليوم التالى نبأ المنحة الملكية ·· ويفتح ابواب السجون ،
واردف :
ـ وسيشمل هذا العفو جميع السجناء فيما عدا ستة

منهم ،
فقال الدون بدرو :
ـ اظن يا دون جايم ان هذا الاستثناء من شانه ان يشوه نبل العمل وعظمته ·· كلا ·· كلا ·· لا يجب ان تستثنى احدا
ـ ولكن الستة الذين اعنيهم هم من المجرمين غير العاديين ، هل نسيت ما ذكرته لك عن القراصنة الستة الذين وجدوا الجراة على الهبوط على الشاطىء الجنوبى ؟ اننى اعنى هؤلاء ··
فقطب الدون بدرو حاجبيه ، وفكر قليلا ·· ثم هتف ،
ـ آه ·· هذا صحيح ، لقد تذكرت الان ،
ـ وهل لم أقل لك أن احد هؤلاء الستة هو الشقى ولفستون ؟
ففتح الدون بدرو عينيه فى دهشة وصاح :
ـ ولفستون ؟ هل قبضت على ولفستون ،
والقى على الدون جايم ـ للمرة الاولى ـ نظرة اجلال واحترام ،
اردف :
ـ انك لم تذكر لى ذلك ، ان ولفستون هو مساعد الكابتن بلود الايمن ، وما دمت قد اعتقلته ، فكانك قصصت اجنحة بلود ،
فرفع الدون جايم راسه باحترام وقال :
ـ اظن أننى استحققت الشرف الذى اولانيه مولاى الملك ،
ـ وهل فى ذلك شك ؟ لو قد علم الملك بما فعلت لصغرت عينه فى نظره ،
فرفعت الدونا هرناندا راسها ، ونظرت اليه بحدة ،

لترى على وجهه اثر السخرية والتهكم ٠
ولكنه كان جادا فيما يقول ٠
اردف :
ـ نعم ٠٠ نعم ٠٠ لا يجب ان يشمل العفو هؤلاء الاشقياء انهم اعداء اسبانيا ٠
ثم سأل فجاة :
ـ وبهذه المناسبة ٠٠ ماذا في نيتك ان تصنع بهم ؟
فقلب الدون جايم شفته وقال :
ـ انني لم احزم رأيي على امر بعد ٠ وما زلت مترددا بين ان اشنقهم ٠ او اقتلهم رميا بالرصاص ٠
اظن انني ذكرت لك ذلك قبل الان ٠
ـ نعم ٠٠ نعم ٠٠ ولكني لم اعلم وقتئذ ان ولفستون بينهم ٠
ـ وهل لذلك اهمية خاصة ؟
ـ واية اهمية !! فكر في الامر مليا فتدرك اهميته وخطورته
ففكر الدون جايم مليا ٠٠ ولكنه لم يدرك شيئا ٠
قال :
ـ لست ارى لوجود ولفستون اية اهمية خاصة ٠ واظن انه لا مناص من اعدامهم جميعا شنقا او رميا بالرصاص ٠
ـ نعم ٠٠ نعم لا مناص من ذلك في النهاية ولكن يجب اعدامهم هنا في سانتياجو ٠ فذلك يشوه العفو الشامل الذي ستعلنه ٠ والرأي عندي ان تبعث بهم الى اسبانيا ٠ ابعث بهم الى الملك كدليل على النشاط الذي استحققت من اجله الوسام وتستحق عليه اكثر من الوسام
فهبت الدون جايم ٠٠ واهتزت اهدابه بسرعة ٠ وبدا

عليه انه استمرأ الفكرة وهضمها ٠
قال
ـ اعترف بأن هذه الفكرة لم تخطر لي قط ببال ٠
ـ ان تواضعت اعماك عن هذه الفرصة السانحة لابراز مواهبك ونشاطك ٠٠
فاجاب الدون جايم في تواضع :
ـ اظن ذلك ٠٠
ـ وسوف يشعر الملك بأن وجودك في هذه المستعمرة الصغيرة غبن لك ٠٠ وقتل لمواهبك فيسند اليك المنصب الذي انت به جدير ٠٠ فان قليلين جدا من حكام المستعمرات قد ابدوا ما ابديت انت من الغيرة والحزم والنشاط
ـ ولكن كيف ومتى ابعث بهؤلاء الاشقياء الى اسبانيا ؟!
ـ هذه مسألة تستطيع ان تعتمد فيها على مساعدتي ٠٠ فقي مقدوري ان اصطحبهم معي بالسفينة « سان توماس » التي انتظر وصولها في اية لحظة ٠٠
ومن الافضل ان تكتب الى الملك رسالة اخرى تتحدث فيها عن هذا الدليل الجديد من ادلة اخلاصك للملك ٠ ثم زودني بهذه الرسالة لاحملها الى جلالته مع الاسرى ٠
وعليك بعد ذلك ان ترجىء اعلان العفو الشامل حتى تقلع بنا السفينة ٠٠ فيكون عفوا شاملا بكل ما في الكلمة من معنى ٠
وقد بلغ من ارتياح الدون جايم ٠ وحماسته لفكرة ضيفه ، انه اوشك ان يعانقه ٠٠ ولكنه تذكر عظمته وخطورة مركزه ، فأمسك في الوقت المناسب ٠٠ واراح

الدون بدرو من قبلاته

والظاهر ·· ان هذا الحديث جرى فى الوقت المناسب ·· ففى صباح اليوم التالى ·· اقبل الخادم الزنجى وانبأ الدون بدرو بأن السفينة ـ سان توماس ـ تنتظره فى الميناء ·

واستأذن الدون بدرو مضيفه فى الرحيل · واعتذر له فى ادب بأن واجباته لا تسمح له بالاستمتاع بالمزيد من كرمه ·

وبينما كان الخادم الزنجى يرتب حقيبة سيده استعدادا للرحيل · قصد الدون بدرو الى غرفة الدونا هرنانديا ، وودعها فى ادب ·· وضمانها مرة اخرى على سلامة ابن عمها ·

وانطلق الدون جايم والدون بدرو بعد ذلك الى السجن ·· حيث اودع ولفستون وزملاؤه غرفة ضيقة مظلمة تنبعث من جدرانها الروائح الكريهة ·

وما ان فتح الباب ·· حتى نهض القراصنة واقفين ·· وامتلأت الغرفة برنين السلاسل الحديدية التى تغل ايديهم وارجلهم ·

قال الدون جايم ·· وهو يشير بيده :

ـ ها هم القراصنة الاوغاد يا دون بدرو ·· الا ترافهم اشبه بسرب من الطيور الجارحة ؟

فقلب الدون بدرو شفته باحتقار ·· وقال وهو يومىء نحوهم بعصاه :

ـ هؤلاء !؟ يا الهى ·· ان وجوههم تدل عليهم ·

فلمعت عينا ولفستون بغضب · ولكنه لزم الصمت ·

قال الدون جايم محدثا القراصنة :

ـ اظن انكم قد بدأتم تفهمون معنى استهتاركم بقوة

اسبانيا ·· أليس كذلك أيها الكلاب الانجليزية ؟

ولكنكم سوف تعرفون المزيد عن قوة اسبانيا ·

انتى انكرت على نفسى لذة الاستمتاع بشنقكم لكى يحتفل اهل مدريد بازهاق ارواحكم الشريرة · كما يحتفلون بالاعياد الوطنية ·

فقال ولفستون :

ـ انك رجل نبيل ·· ولكن تبلك من الطراز الاسبانى ·· فانت لا تتورع عن اهانة شخص موثق اليدين والقدمين ·· لا حول له ولا قوة ·

فزمجر الحاكم ·· وراح يسب ويشتم ·· حتى قال له الدون بدرو :

ـ وقر على نفسك هذا الغضب · فهؤلاء الاوغاد لا يزجرهم الكلام كما تزجرهم حبال المشانق ·

فتردد الحاكم لحظة ·· ثم امر الضباط بان يسوق القراصنة الى الميناء ·

وابى الدون جايم الا ان يرافق ضيفه الكريم حتى يصل الى السفينة ونعله اراد فى الواقع ان يطمئن على شحنة القراصنة ·· فركب مع ضيفه والقراصنة والضابط قاربا كبيرا ·· وشق القارب طريقه فى الماء حتى وصل الى السفينة ·

وصعد الدون جايم سلم السفينة ·· وتبعه الدون بدرو عن كثب ·

بيد انه ما كاد يصل الى نهاية السلم حتى وقف مبهوتا ·

وكان لا يزال فى دهشته ·· حين شعر بيد تدفعه من الوراء بقوة ·· فانقلب على وجهه فوق سطح السفينة ·· وتلقفته عشرات الايدى ·

ونظر الدون جايم حوله فى ذعر ووقع بصره على الدون بدرو ·· ورآه يبتسم بلطف ·

قال الدون بدرو :

ـ لا تجزع يا دون جايم ·· انني اعدك بالا يصيبك اذى · فثق بهذا الوعد ·· فانا الكابتن بلود ·

وقبل أن يدرك الدون جايم بذهنه الكليل معنى هذه الكلمات وقع بصره على ما ضاعف حيرته ·

رأى شابا طويلا القامة · انيق الثياب يخرج من بين البحارة ويرحب بالكابتن بلود ·

ولشد ما كانت دهشة الدون جايم حين تبين وجه هذا الشاب وعرف فيه الدون رودريجو ·· ابن عم زوجته ··

قال الكابتن بلود وهو يشد على يد الشاب :

ـ لقد جئت بفديتك يا دون رودريجو ·

واشار بيده نحو ولفستون ورفاقه الخمسة ·· ثم اردف

ـ فانت حر الان ·· وفى استطاعتك ان ترحل مع الدون جايم ·· ان السفينة ستقلع فى الحال · اصدر الاوامر اللازمة يا ماجثورب ··

وهنا ظن الدون جايم انه قد بدأ يفهم · فتحول الى الدون رودريجو وصاح وشرر الغضب يتطاير من عينيه :

ـ يا الهى ·· انت ايضا ؟ اتتآمر مع اعداء اسبانيا على ؟

ولكن الكابتن القى بيده الثقيلة على كتفه ، وقاطعه بقوله :

ـ خير لك ان ترحل فى الحال يا دون جايم ·· فالسفينة تتأهب للابحار ··

انني اشكرك مرة اخرى على ضيافتك ، وانصح لك ان

تكون فى المستقبل اكثر احتراما لزوجتك ··

اذهب فى حراسة الله يا دون جايم ··

وخيل الى الحاكم انه فى حلم ، ولكنه شعر بيد تدفعه نحو حاجز السفينة ، فاخذ يهبط السلم ، وتبعه الدون رودريجو ، بعد ان ودع الكابتن بلود باحترام ··

وتهالك الدون جايم فى جوف القارب ، وما ان افرخ روعه ، حتى ثارت ثائرته ، وراح يهدد ويتوعد ، ويطالب ابن عم زوجته بايضاح هذه المعميات ··

قال الدون رودريجو ·· وهو يبذل قصارى جهده للاحتفاظ بهدوئه وسكينته ،

ـ يجب أولا أن تصغى الى · انني كنت فى طريقي الى (سان دومينجو) بالسفينة (سـان توماس) حين واجانا الكابتن بلود ، واستولى على السفينة وانـزل بحارتها على شاطىء جزيرة (العذارى) ولكنه احتفظ بى طمعا فى الفدية ·

فصاح الدون جايم :

ـ وهل وافقت على هذه المساومة المقذرة لانقاذ حياتك ؟

ـ قلت لك انه يحسن بك ان تصغى الى ·· انني لم اوافق على اية مساومة · وقد احسن الكابتن بلود معاملتى فتوثقت بيننا اواصر الصداقة ·· ولا بدان تكون قد لاحظت بنفسك انه رجل دمث الخلق طيب المعشر ·

وقد فهم بلود من احاديثى اشياء كثيرة عن حياتى الخاصة ·· وعن حياتك ·· وصلة القرابة التى تربطنى بك وبزوجتك ·

فلما وقع ولفستون وزملاؤه بين يديه · فكر الكابتن بلود فى استثمار المعلومات التى وقف عليها من احاديثى والاوراق التى عثر بها معى · وصارحنى بنواياه ·

ووعدنى اذا نجح فى انقاذ اعوانه ان يطلق سراحى بغير فدية ٠

ـ وانت ٠٠ هل وافقت ؟؟

ـ وافقت ؟ انك تبدو غبيا فى بعض الاحيان ٠ بل فى غالب الاحيان فانكابئن بلود لم يطلب موافقتى ، ولم يكن بحاجة الى موافقتى ٠ انه صارحنى بخطته على سبيل العلم بالشىء ٠ والظاهر انه نجح الى ابعد حدود النجاح بفضل غباوتك ووسام سان جيمس ٠ واكبر ظنى انه منحك هذا الوسام فبهرك به ٠ حتى جعلك تؤمن بكل ما يقول ٠

فهتف الدون جايم ٠ وقد ظن انه بدأ يفهم :

ـ وهل كنت تحمل هذا الوسام الى ؟

فارتسمت على وجه الدون رودريجو ابتسامة عريضة واجاب :

ـ بل كنت احمله الى الدون جايم دى جوزمان ٠٠ حاكم هسبانيولا ، وقد كانت الرسالة باسمه ٠

ففتح الدون جايم فمه ٠ وامتقع لونه ٠٠

هتف من قلب يحترق غيظا :

ـ والوسام اذن لم يكن لى ؟

ـ كان ينبغى عليك ان تعود الى الرسالة وتقراها جيدا ٠٠ لتتحقق من ذلك ٠٠

فصاح الدون جايم فى غضب :

ـ ان ماء البحر اتلفها ٠ فكان من المتعذر قراءتها ٠٠

ـ اذن كان ينبغى عليك ان تعود الى ضميرك وتسأله ٠٠ فينبئك بانك لم تفعل شيئا تستحق عليه وسام سان جيمس ٠

فصمت الدون جايم ٠٠

لم يكن فى حالة تسمح له بالكلام ٠٠

ولما وصل الى منزله ٠٠ وافاق من ذهوله ٠٠ راح يصب فى اذنى زوجته حكاية الخدعة التى ذهب ضحيتها ٠٠ ثم شرع يناقشها الحساب ٠

صاح بها :

ـ كيف حدث اذن يا سيدتى انك عرفت فيه ابن عمك المزعوم ؟!

وتجاسرت زوجته على ان تضحك فى وجهه اخيرا ٠

قالت :

ـ اننى لم اعرف فيه ابن عمى ٠٠

ـ اذن كنت تعلمين انه ليس ابن عمك ؟؟

ـ نعم ٠٠

ـ ولكنك لم تقولى لى شيئا من ذلك ٠٠

وشعر بالدنيا تدور حوله ٠٠

قالت الدونا هرنانده :

ـ لو اننى اردت الكلام لما سمحت لى ٠٠ فقد قلت له اننى لا اذكر ان بدرو ازرق العينين ٠٠ ولكنك اجبتنى بانك لا اذكر شيئا على الاطلاق واتهمتنى بالبلاهة ٠٠ فلزمت الصمت ولم اقل شيئا بعد ذلك حتى لا تتهمنى بالبلاهة ٠٠ فلزمت الصمت ولم اقل شيئا بعد ذلك حتى لا تتهمنى بالبلاهة مرة اخرى على مسمع من الزائر الاجنبى ٠

فجفف الدون العرق المتصبب على جبينه ٠٠ تحول الى الدون رودريجو وهو يكاد ان ينشق غيظا ٠٠ وساله :

ـ ماقولك فى هذا ؟

فاجاب رودريجو :

ـ ليس عندى ما اقوله ٠ وفقط اود ان اذكرك بنصيحة

الكابتن بلود · وهى ان تكون فى المستقبل اكثر احتراما لزوجتك ·

الفصل الرابع

الغرامة الحربية

ارتكبت السفينة (اترفيدا) حماقة لاتغتفر ·· حين بادات السفينة (ارابيللا) بالعدوان ·

و (ارابيللا) ·· هى ذات السفينة الحمراء العظيمة · التى اشتهرت باسم (الميرانتى) وقد أبدل الكابتن بلود اسمها ·· كما ابدل لونها ··· فاطلق عليها اسم المراة الوحيدة التى احبها ·· ونعمت اهم دور فى حياته ، ثم ذهبت ·· وتركت فى لقبه جرحا لايندمل ·

وقد كانت (ارابيلا) تشق طريقها بسرعة نحو الجنوب لتلحق بزميلتها (سان توماس) حين برزت لها (اترافيدا) فجاة ·· واعترضت طريقها ·· وافتتحت المعركة بقنبلة مزقت احد أشرعة (ارابيللا) ·

وقد انتهت المعركة بالنتيجة الوحيدة المنتظرة ·· فان (ارابيللا) تحولت عن طريقها فى حال ·· وابتعدت عن غريمتها بسرعة حتى تجاوزت مرمى مدافعها الصغيرة ·· ثم فتحت أفواه مدافعها الثقيلة وأصلت (اترافيدا) نارا حامية ·

ولم تستمر المعركة طويلا · فقد القمست ، اترافيدا ، السلامة فى التسليم · بعد ان قطعت عليها ، ارابيللا ، سبيل الفرار · واشعرتها بعجزها عن مواصلة القتال ·

وقدم قبطان ، اترفيدا ، حسامه الى الكابتن بلود · فتناوله هذا وقال وهو يحطمه على ركبته :

ـ ستعلمك هذه المعركة الا تتيح فى وجهى مرة اخرى ·

ولم يعرف الكابتن بلود لماذا تحرشت به ـ اترافيدا ـ ·· الى ان قام بتفتيش هذه السفينة · وعثر فى مكتب قبطانها برسالة من الاميرال ميجيل دى فالدير اميرال الاسطول الاسبانى يامر فيها القبطان باللحاق به فى ميناء ـ بياك ـ للاشتراك معه فى الاغارة على مستعمرة ـ انتيجوا ـ البريطانية ·

كانت رسالة الاميرال صريحة فى معناها · ودلالتها وقد قرا فيها (بلود) الفقرة التالية :

« على الرغم من العلاقات الحسنة القائمة بين اسبانيا وانجلترا · فان الحكومة البريطانية لم تقم من ناحيتها باية محاولة لتبطش بذلك القرصان اللعين · الكابتن بلود · او على الاقل لمنعه من السطو على السفن الاسبانية وقد أصبح من الضرورى ان تقابل السفن بمثله · وان نحصل على تعويض كاف عن الاضرار التى اصابت المصالح الاسبانية على يد هذا القرصان » ·

قرا ـ بلود ـ هذه الفقرة العجيبة · وامر بتضميد جراح « اترافيد » وشد وثاق قبطانها وبحارتها · ثم نقل اليها عددا من رجاله لتسييرها · وأصدر تعليماته الى « جيريمى » بتحويل السفينة نحو الشرق ·

وسارت (ارابيللا) فى الطليعة · وتبعتها (اترافيدا) عن كثب ·

وفى المساء ·· دعا (بلود) أعوانه ·· واوضح لهم الاسباب التى حملته على تحويل السفينة نحو الشرق ··

واحتج بعض اعوانه ·· حين علموا انه يقصد بهم الى (انتيجوا) للدفاع عنها ·· ولمنع الاميرال الاسبانى من الاغارة عليها ··

وكان ولفستون اشد الجميع احتجاجا ··

صاح :

ـ لتذهب جميع المستعمرات البريطانية الى الصغيرة ٠٠ ثم فتحت افواه مدافعها النقية ٠٠ الشيطان ٠٠ بحسبنا اننا لانسطو على السفن الانجليزية ٠٠ فهل تريدنا الان على ان نسفك دماءنا ٠٠ فى سبيل الدفاع عن قوم يتاصبوننا العداء ٠٠ ولا يترددون فى البطش بنا اذا استطاعوا ؟ !

فاجاب بلود :

ـ ان الغرض من هذه الغارة هو الانتقام لما اصاب السفن والمستعمرات الاسبانية على أيدينا ٠ فمن واجبنا ان نحول دونه ٠٠

ونحن اذا حذرنا القوم فى (انتيجوا) ووضعنا انفسنا فى خدمتهم فاننا نفعل ذلك لقاء اجر ٠٠ شأننا فى ذلك شان المرتزقة من الجند ٠٠ وكذلك نستطيع ان نوفق بين الواجب والفائدة ٠٠

وهكذا نجح بلود فى اقناع اعوانه ٠٠

وحول الفجر ٠٠ مرت السفينتان بالقرب من خليج (جورد) فأمر بلود بحارة (اترفيدا) بالنزول هناك ٠٠ ثم رفع الراية الانجليزية على السفينتين ٠٠ واستانف السير الى (انتيجوا) ٠

وحول الظهر ٠٠ كان الكولونيل كورتنى ـ ، حاكم انتيجوا ، ـ يتناول طعام الغداء مع زوجته والكابتن بلود بطلب مقابلته ٠

وحملق الكولونيل فى وجه سكرتيره ٠ وصاح بعد صمت قصير :

ـ تقول الكابتن بلود ؟ اى كابتن بلود ؟ لعلك لاتعنى ذلك الفرصان اللعين ٠٠ الذى كان طبيبا ٠٠ ثم كان حاكما على ، جمايكا ، ؟

فاجاب السكرتير وهو يبتسم :

ـ هو بعينه ياسيدى ٠

وتوقفت اللقمة فى حلق الكولونيل من فرط الدهشة ٠

قال وهو ينهض واقفا :

ـ هل جاء بنفسه ؟ لابد انه جن ٠٠ سالقى به فى السجن قبل ان افرغ من تناول الطعام ٠٠ وساشحنه الى انجلترا قبل ٠٠

ثم كف عن الكلام ٠٠ وتحول الى الكابتن ماكارتى ٠ وقال :

ياماكارتى ٠٠

وعقدت الدهشة لسان ماكارتى ٠٠

لم يصدق حواسه ، ولم يفهم كيف وجد الكابتن بلود الجراة على زيارة حاكم (انتيجوا) ٠٠ وهو يعلم أن جميع السلطات الرسمية ، انجليزية كانت او اسبانية ، او فرنسية ٠٠ تترقب الفرصة للبطش به ، وراحة سفنها من عبثه ٠

وادخل السكرتير الزائر الرهيب ٠٠

ورأى الكولونيل كورتنى أمامه رجلا طويل القامة انيق الثياب ٠٠ ينم وجهه الحليق النحيل عن قوة ارادته ، وينبعث من عينيه الزرقاوين النفاذتين وميض الذكاء ٠٠

ولم يصدق كورتنى عينيه ٠

كان يتوقع أن يرى رجلا ضخم الجسم ، ذا شعر مشعث ٠٠ وثياب مهلهلة ٠٠ ومظهر ينم عن الغلظة والفظاظة ٠٠

لم يصدق عينيه ٠٠ وصاح وهو ينحنى على مائدة الطعام :

ـ انت الكابتن بلود ؟

ونظر الى زوجته الشاحبة ٠٠ والى ماكارتى ٠٠ ثم تحول الى الزائر وصاح ،

ـ انك وغد جريء ·· نعم انت وغد شديد الجراة ··

فاجاب الكابتن بلود بهدوء :

ـ يخيل الى انك تعرف الكثير عني ··

ـ ولكني لا اعرف عنك القدر الذي يحملني على تصديق عيني ·· لعلك جئت تسلم نفسك ؟ ·

فاقترب بلود من المائدة ·· ونهض ماكارتي بحركة غريزية ·· كانما ليدافع عن نفسه ··

قال بلود :

ـ اقرا هذه الرسالة ·· فانها توفر علي الايضاح ·

وقدم اليه الرسالة التي بعث بها الاميرال ميجل الى قبطان السفينة ـ اترفيدا ـ واردف :

ـ لقد وقعت هذه الرسالة وصاحبها بين يدي في احدى المعارك · وقرا الكولونل كورتني الرسالة · ونظر الى الكابتن بلود متسائلا ·

واجاب بلود على نظرته بقوله :

ـ انني جئت لكي احذرك · واعرض عليك خدماتي اذا اقتضتها الضرورة ·

ـ خدماتك ؟!

ـ نعم ·· فانك بحاجة اليها · والقلعة المضحكة التي تعتمد عليها في الدفاع عن الميناء لن تصمد امام المدافع الاسبانية ساعة واحدة · وبعدئذ ترى المغيرين الاسبانيين في شوارع انتيجوا · ولعلك تعرف الشيء الكثير عن سلوكهم في مثل هذه الظروف · واذا لم تكن تعرف فانني على استعداد لان اصف لكم بعض اعمالهم كما شهدتها بعيني رامي ·

فصاح ماكارتي :

ـ ولكن يا الهي ·· نحن لسنا في حرب مع اسبانيا ؟!

وتحول الكولونل كورتني الى بلود في غضب وقال :

ـ انت علة مصائبنا · واعمالك القذرة هي التي تحفز هؤلاء الاشقياء على الانتقام منا ·

ـ وذلك ماحملني على القدوم · ان اعمالي هي عذر يلتمسونه ··

وليست سببا يبرر سطوهم على هذا البلد ·

وجلس دون ان يدعوه احد الى الجلوس · واستطرد :

ـ لقد قيل لي انكم عثرتم على كميات كبيرة من الذهب في (انتيجوا) ·· ولابد أن يكون الدون ميجل قد علم بذلك أيضا ·· كما علم بان حامية المدينة تتالف من مائتي رجل او اقل ·· وان تحصيناتها تبعث على السخرية

ولذلك جئت الان بسفينة عظيمة كاملة السلاح ·· وبها مائتا رجل · من اشجع المقاتلين في البحار الجنوبية ·· وربما في العالم اجمع ·

انا اعلم انني قرصان ·· طريد ·· سيء السمعة ·· وان من حقك ان تولينى ظهرك وترفض التحدث الي ·· ولكنك اذا كنت على شيء من العقل والحكمة ـ وهو ما ارجوه ـ وجب عليك ان تشكر العناية الالهية التي ارسلتني اليك ·· وان تبادر في ذات الوقت الى الاتفاق معي ·

ـ الاتفاق معك ؟!

وهنا اوضح الكابتن بلود وجهة نظره · فقال ان رجاله لايضحون بحياتهم ضمنا في الشرف والمجد ·· اوغراما بالتضحية · وان الوطنية لا وزن لها عند القراصنة ·· لانهم في الغالب خليط من مختلف الاجناس لايهمهم اذن ان يسود الاسبانيون على احدى المستعمرات الانجليزية ويلتهموها ·· انما يهمهم كثيرا ان ينالوا اجر عن الخدمات الشيقة التي سيؤدونها ·

وختم بلود حديثه بقوله :

ـ ولما كانت المسألة بالنسبة اليك هى مسألة شرف ايضا ٠٠ وكان من المتعذر عليك ان تتحالف معنا ٠٠ فان فى مقدروك ان تستخدمنالقاء اجر وان تطردنا متى فرغنا من مهمتنا ٠

فنظر اليه الحاكم بحدة ٠٠ ثم قال :

ـ ان المسألة هى مسألة شرف وواجب كما ذكرت ٠٠ وارى من واجبى ان القى القبض عليك ٠٠ وارسلك الى انجلترا مشدودا بالسلاسل فقلب الكابتن بلود شفته واجاب :

ـ ان واجبك الاول فى هذه الظروف هو ان تذود عن المستعمرة التى انتحاكمها ٠٠ ففكر مليا فى الخطر الذى يهددها ٠

وتذكر انها تستهدف لهذا الخطر فى اية لحظة ٠٠

فنظر الحاكم الى ماكارتى ٠٠ ولكن ماكارتى كان منهمكا فى السخرية ، وجهه لايبدو عما يدور بخلده ٠٠

وكانت زوجة الحاكم قد لزمت الصمت طول هذا الوقت ، فنهضت واقفة فجاة ٠٠

كانت طويلة القامة كزوجها ٠٠ وقد اذبلت الحرارة الاستوائية نضارتها قبل الاوان ، ولكنها لم تذبل ذكاءها لحسن الحظ ٠٠

قالت تحدث زوجها :

ـ كيف تتردد ياجيمس ؟ فكر فيما يصيب النساء والاطفال اذا انتصر الاسبانيون واحتلوا المدينة ؟ الا تذكر مافعلوا فى (بريدجتاون) منذ بضعة اعوام ؟

فقطب الحاكم حاجبيه وقال :

ـ ولكنى لا استطيع التحالف مع ٠٠ مع الخارجين على القانون ٠٠ ان واجبى هنا صريح ٠٠ فى منتهى

الصراحة ٠٠ وقد نطق بالعبارة الاخيرة بهجة قاطعة ٠٠ فتنهد بلود ونهض واقفا ٠٠

قال :

ـ ما دامت عذه هى كلمتك الاخيرة ٠ فانى أتمنى لك يوما طيبا ٠٠ اذ ليس فى نيتى أن أسمح للاسطول الاسبانى بان ياخذنى على غرة ٠٠

فقال الحاكم بحدة :

ـ انك لاتستطيع الانصراف ، فان واجبى يقضى بان اقبض عليك ايضا ٠٠

ادع الحراس ياماكارتى ٠٠

فرفع بلود رأسه بحدة ٠٠ وأوقف ماكارتى باشارة من يده ، وقال محدثا الحاكم :

ـ لاتكن مغفلا ياكولونل ٠٠

فاجاب كورتنى :

ـ انى لست مغفلا ياسيدى ٠٠ انا اعرف واجبى ٠٠ واعرف كيف يجب ان اؤديه ٠

ـ وهل من واجبك ان تكافئنى بالنذالة ٠٠ على الخدمة الجليلة التى قدمتها اليك حين حذرتك ؟!

فكر ٠٠ فكر فى سلوكك ياكولونل ٠٠

وهنا تدخلت زوجة الحاكم مرة أخرى ٠٠ وكان تدخلها فى صف الكابتن بلود ٠٠

وضاق الحاكم ذرعا ٠٠ وتهالك على مقعده وهو يصيح :

ـ ولكنى لا استطيع ٠٠ لا استطيع الاتفاق مع لص من لصوص البحار ٠٠ ان كرامتى ٠٠ كلا ٠٠ كلا ٠٠ لا استطيع ٠٠

ولعن الكابتن (بلود) فى سره الحكومات التى ترسل مثل هذا الاحمق لتمثيلها وراء البحار ٠٠

قال :

ـ وهل تظن ان كرامتك تكفي لدفع عدوان الاميرال الاسباني ؟؟

وصاحت الزوجة :

ـ ٠٠ ثم لاتنسى النساء والاطفال ياجميس ٠٠ ان اسطولا برمته ينوى مهاجمة المدينة ٠٠ والغريق يتعلق حتى بالثعبان ٠ وحكومة جلالة الملك سوف تقدر موقفك الدقيق ٠٠ وتقر اية خطوة تخطوها فى طلب النجدة من اى نوع ٠

وما زالت بزوجها وانضم اليها ماكارتى ٠ حتى عدل الحاكم عن عناده ٠٠ ورضى أن يضحى بكرامته تحت ضغط الضرورة ٠

وطلب كورتنى الى اللورد ، فى تهكم ، ان يـذكر شروطه ٠ فاجاب بلود ،

ـ انا شخصيا لا اطلب اجرا ٠ وسانظم الدفاع عن (انتيجوا) اكراما للدم الذى يجرى فى عروقى ٠٠ ولكن متى تم لنا طرد الاسبانيين فانى ساطلب مائة قطعة ذهبية لكل رجل من رجالى ٠٠ وعددهم مائتان فذهل الحاكم وصاح :

ـ عشرون الف قطعة ذهبية ؟!

وخيل للناظر اليه انه يختنق ٠٠

ولكن الكابتن بلود لم يتزحزح ٠٠ واضطر الحاكم الى التسليم ٠٠

وقضى بلود بعد ظهر ذلك اليوم فى تحصين الميناء ٠٠

كان هناك لسان من الارض يشطر الميناء الى شطرين ٠٠ احدهما واسع عميق لمرور السفن الضخمة ، والاخر ضيق ضحل للقوارب والسفن الصغيرة ٠٠

ولم يسقط (بلـود) هـذه الحقيقة الطبيعية من

حسابه ٠٠ حين شرع فى الاستعداد للدفاع عن المدينة ٠٠ فامر رجاله فجاءوا بالسفينة (اترفيدا) واوقفوها فى فوهة المدخل الكبير ٠٠

ثم تفقد القلعة ٠٠ فوجد بها عشرين مدفعا صغيرا ٠٠ كلها من الطراز القديم ٠٠ واقوى هذه المدافع لايكاد يصيب الرمى على بعدالفى متر ٠ فحمل الى القلعة عشرة من مدافع (اترفيدا) ٠٠

وقضى ساعة او بعض ساعة ٠٠ وهو يفحص المنطقة المحيطة بالميناء وانتهى الى بقعة فوق اكمة تحجبها اشجار النخيل والكاكاو ، فاستعان برجاله وبجنود الحامية وعدد كبير من الزنوج على اقامة جدار قوى فى تلك البقعة ٠٠ ثم بنى عليه ثلاثة جدران اخرى ٠ ولشد ماكانت دهشة الحاكم حين راى فى المساء ان (بلود) قد اقام فى بضع ساعات قلعة جديدة يستغرق تشييدها فى الظروف العادية اسبوعا على الاقل ٠٠

ولاحظ الكولونل كورتنى أن بلود قـد عنى بصفة خاصة باخفاء قلعته الجديدة وراء حاجز من الخشب والعشب ٠٠ فعجب وقال :

ـ هذه جهود ضائعة ، فلماذا تخفى التحصينات التى من شانها ان توقع الذعر فى قلب الاميرال الاسبانى ، وقد تثنيه عن عزمه ٠٠ ؟

فاجاب بلود :

ـ اذا عدل الاميرال عن الهجوم فانما يعدل مؤقتا ٠٠ حتى يشعر بانصرافى عن (انتيجوا) ولكنى اريد ان ابيد اسطوله ، او ان الحق به من العطب مايمنعه من التفكير فى مهاجمة المستعمرات البريطانية فى المستقبل ٠٠

وقام بلود على تحصين القلعة الجديدة بعدد كبير من مدافع (ارابيلا) ثم قصد بسفينته الكبيرة الى خليج

هادىء خلف الجزيرة ·· وتركها هناك ·

وفى صباح اليوم التالى استيقظ أهل (انتيجوا) على دوى المدافع وذعر الكولونل كورتنى ·· وظن ان الاعداء قد بدأوا هجومهم ·· فارتدى ثيابه على عجل ·· وقصد الى الميناء ·

وهناك رأى منظرا جعل الدم يغلى فى عروقه ·

رأى بلود ورجاله يصوبون مدافع الحصن الجديدة نحو السفينة (اترفيدا) ويصلونها نارا حامية ·

وانقضت احدى القنابل على (اترفيدا) فمزقتها ·· واغرقتها فى مدخل الميناء ·

واسرع الحاكم الى بلود وهو يرغى ويزبد ·· وسأل عما اذا كان قد أصابه خبل حتى يقدم على سد مدخل الميناء ·

واجاب بلود :

ـ لقد فعلت ذلك عمدا ·· ولن يستطيع الاميرال ميجل ان يقترب باسطوله من الشاطىء ··

ولم يقتنع الحاكم بهذا الرأى ·· وثارت ريبته ·

قال :

ـ واذا صح ذلك ·· افما كان يحسن بك ان تغرق السفينة بطريقة اخرى · دون ان تضحى بهذه الكمية العظيمة من البارود ·

فهز بلود كتفيه وقال :

ـ كان يجب ان نجرب مدافعنا ·· وهكذا اصبت عصفورين بحجر واحد ·

ـ اردت ان تدرب الرجال على اصابة هذا الهدف القريب ؟ ·· اتسخر منى يارجل ؟

ـ سوف تفهمنى متى جاء الدون ميجل ·

ـ اريد ان افهمك الان ·· ويجب ان تذكر أننى وحدى

الحاكم هنا ·

فقال بلود فى ضجر :

ـ يخيل الى ان صلفت اعظم من ذكائك ·· ان وقتى لاينسع لمثل هذا الجدل العقيم ·· فاصبر ترى ··

وانقضت ثلاثة أيام دون أن يحدث شىء ·· فتضاعفت شكوك الكولونل كورتنى ·· وراح يسأل نفسه ·· الا يحتمل أن يكون هذا كله خدعة خبيثة من القرصان اللعين ؟

على أن بلود أوضح له العلة فى ابطاء الاميرال ميجل · وقال له أن هذا الاخير لابد ينتظر السفينة « اترفيدا » التى لن تصل اليه ·· ومتى يئس منها ·· فانه سيقدم على الهجوم بدونها ·

وظهرت طلائع الاسطول الاسبانى فى اليوم الخامس ·· ظهرت فى الوقت المناسب حين توترت العلاقات بين الحاكم والقراصنة وأصبح تحالفهما عبئا ثقيلا عليهما ·

ووزع الكابتن « بلود » رجاله بين « ارابيلا » والقلعة الجديدة ، فترك قيادة الاولى لساعدة ولفستون ·· واسند الى « اوجل » قيادة المدفعية فى القلعة الجديدة بالميناء ···

وشوهد اسطول الدون ميجل على بعد ستة أميال من الميناء ·

كان يتألف من أربع سفن ·· أضخمها وسرعها السفينة « فيرجن ديلبيلار » ·· التى تسير فى الطليعة ·

كانت من أحدث قطع الاسطول الاسبانى ·· وبها أربعون مدفعا تصيب الهدف على مدى ثلاثة آلاف متر ·

أما السفن الثلاث الاخرى · فانها كانت أصغر حجما · ولكن ليست أقل سرعة ·

ووضع الكابتن بلود منظاره فى جيبه ·· واستعد للعمل ··

وبدأت المعركة بعد نصف ساعة ، فقد هجم الدون ميجل بالحماقة التى يعرفها فيه الكابتن بلود ، ولم يبطىء فى سيره حتى أصبح من الميناء على بعد الفى متر ، ولعله ظن انه أخذ المدينة على غرة ، وان قلعتها لا تقوى على مناهضته ، وعرقلته ··

على أنه صمم على أن يدك القلعة دكا قبل أن يدخل الميناء ، فواصل السير ، حتى أصبح منها على بعد الف متر ··

قال بلود :

ـ ياالهى ·· يخيل الى أنه ينوى الاستيلاء على المدينة بالسلاح الابيض ، والكبر الظن انه لا يقيم وزنا للقلعة ومدافعها ··

واصدر أمره الى رجال المدفعية فى القلعة القديمة ، فانطلقت المدافع بدوى كقصف الرعد ، وتساقطت القنابل حول قطع الاسطول الاسبانى ، ولكنها لم تلحق به عطبا يذكر ··

على أنها أحدثت التأثير الذى اراده الكابتن بلود ، لانها فاجأت الاسطول الذى ظن أن هجومه فجائى ··

وادارت السفن الاسبانية مقدماتها ، وصبت قنابل مدافعها الجانبية على القلعة القديمة ··

وما هى الا دقائق حتى أصبحت القلعة كانها بيت صغير فى فوهة بركان ··

تساقطت أحجارها ، ثم تساقطت جدرانها ، واختلط الدخان بالغبار فكانت منهما سحابة كثيفة حجبت عن رجال الحامية منظر البحر ، وبالتالى حجبت عنهم حركات الاسطول ··

ولكن ، بلود ، أدرك أن الاعداء يحشون مدافعهم ، لافراغها فى القلعة مرة أخرى ، فانتهز الفرصة ، وأوعز الى الحامية أن تنسحب من القلعة ··

واطلق الاسطول مدافعه مرة أخرى ·· فدك القلعة وصيرها كومة من الانقاض ·

وظن العدو بغير شك انه ازال العقبة الوحيدة التى تقف فى سبيله ، فتقدم بسرعة وثقة واطمئنان دون أن يحشو مدافعه الى أن أصبح على مرمى رصاص البنادق وكان (بلود) قد أمر الحامية أن تعود بمدافعها الى أنقاض القلعة ، فدهش الاميرال حين رأى الحياة تدب فى القلعة من جديد ، ورأى القذائف تنقض على اسطوله من أفواه خمسين مدفعا ، وسقطت احدى هذه القذائف على مقدمة السفينة « فيرجن ديلبيلار » فاحدثت بها عطبا شديدا

وطاش عقل الدون ميجل لهذه المفاجأة وأمر بالابتعاد عن مرمى النيران ··

ودارت السفينة « فيرجن » حول نفسها ·· واصطدمت فى دورتها بزميلة لها لم تستطع تخفيف سرعتها ·· وكانت النتيجة أن دب الفزع والاضطراب فى صفوف الاسطول

ولم يكف رجال الحامية عن اطلاق المدافع ، حتى ولى الاسطول الادبار ، وانطلق الى عرض البحر بكل سرعته ·

قال الكولونل كورتنى ·· وهو يفرك يديه بارتياح :

ـ لو أخذت بنصيحتى ·· واستخدمت مدافع القلعة الجديدة التى ··

فقاطعه الكابتن بلود بقوله :

ـ ياالهى ·· ألست راضيا عما حدث !! لو أننى أخذت بنصيحتك لكنت كمن يضع كل أوراقه على

الطاولة ..

انني محتفظ بالقلعة الجديدة .. حتى يسير الاميرال ميجل بقدميه الى الفخ .

– واذا لم يفعل ذلك ؟

– انى واثق انه سيفعل .. انني أعرف طباعه .. واعلم أنه سيقع فى الفخ .. فاذهب الى بيتك .. ونم مطمئنا .. وضع ثقتك فى .. وفى العناية الالهية .

وما أن غابت الشمس وراء الافق .. حتى سكنت الحركة فى الميناء . كانما انقرضت الحياة منها .

وهبط الظلام .

ووقف الكابتن بلود يرقب اتجاه الريح .

وفى هذه الاثناء .. كان الدون ميجل دى فالديز .. ذلك الاميرال المتعجرف النبيل الباسل .. يرأس مجلسا حربيا عقده فى سفينته الكبرى

دعا اليه ضباطه .. لا ليسترشد بارائهم كما كان ينبغى عليه أن يفعل وانما ليملى عليهم ارادته .. ويقول لهم أنه قرر العودة الى مهاجمة (انتيجوا) فى جنح الظلام .. حين يكون المدافعون عنها قد اطمأنوا وناموا .. حتى اذا طلع الفجر .. رأى الناس الاسطول فى الميناء .. ووجدوا مدينتهم هدفا لنيران المدافع . فلا يستطيعون عن أنفسهم ومدينتهم دفاعا .

وهكذا دار الاسطول على عقبيه .. ويمم شطر الميناء .. فى هدوء وبطء .

وسارت السفينة (فيرجن) فى الطليعة .. حتى دخلت الميناء .

كان السكون تاما .. والظلام شاملا .. فلا حس .. ولا حركة .. ولا ضوء .

ووقف الدون ميجل ورجاله على استعداد . وقد أيقنوا

من الفوز ولعلهم كانوا يفكرون فى ضروب البطش التى سينزلونها بالمدينة واهلها .. حين اهتزت بهم السفينة فجأة وسمعوا زمجرة شديدة . كزمجرة الاخشاب حين تتمزق .. ثم شعروا بالسفينة ترتفع بهم فى الفضاء فجأة وتميل على مؤخرتها .

ذلك ان « فيرجن » ارتطمت بالسفينة « اترفيدا » التى اغرقها الكابتن بلود فى الميناء ..

ولكن قبل أن يفهم الاميرال ميجل ما حدث .. تمزق السكون بدوى هائل وانبلعت من جوف الليل السنة من لهب

ذلك ان القلعة الجديدة اطلقت مدافعها فى الظلام .. واصابت الهدف فى الحال .

ولو رأى الكولونل كورتنى ذلك .. لادرك لماذا فضل كابتن بلود ان يغرق (اترفيدا) بنيران المدافع .. ولاستطاع الان أن يفهم .. كيف أصابت المدافع هدفها رغم شدة الظلام .

وبدأت (فيرجن) تغوص قبل أن يتمكن الدون ميجل من الرد على مدافع الاعداء .. واصبح همه الوحيد أن ينجو بنفسه . وبرجاله

وحملتهم القوارب الى السفينة الثانية « انديانا » .. ولكن احدى القنابل أصابت دفة هذه السفينة فحطمتها .. وانتقل الاميرال ورجاله الى السفينة الثالثة .

ولوت هذه السفينة عنانها ولاذت بالفرار قبل أن يصيبها ما أصاب زميلتيها .

ولما طلع الفجر نقش القراصنة الى جوف السفينة « فيرجن » وانتقوا من نفائسها ما استطاعوا حمله ، وغنموا منها طائفة من الاوانى الذهبية والفضية ، وقطع الاثاث الفاخر ، والطنافس الشرقية الثمينة ،

ووجدوا فى خزانتها ستة آلاف قطعة ذهبية ..

وانهم على الشاطىء يقتسمون غنيمتهم كما تقضى بذلك شرعة القراصنة ، اذا بزنجى يدنو وفى اثره اربعة بغال ..

ودهش الكابتن بلود ، وسأل الزنجى :

ـ ما هذا ؟

فاجاب الزنجى :

ـ هذه بغال أرسلها سيدى الحاكم لتنقل اليه النفائس التى غنمتموها من سفينة الاعداء ..

قبعت بلود ، ولكنه سيطر على غضبه .. واجاب :

ـ حسنا .. وشكرا .

وحمل البغال بالاسلاب ، وارسلها ليس الى الحاكم وانما الى حيث كانت السفينة « ارابيللا » فى الانتظار ..

وقصد بعدئذ الى بيت الحاكم ، وطلب مقابلته ، فادخل الى غرفة فسيحة انيقة ، على أحد جدرانها صورة كبيرة لشارل الثانى ملك انجلترا ..

واقبل الكولونل كورتنى ، يتبعه الكابتن ماكارتى ..

ولاحظ بلود أن وجه الحاكم أشد تجهما مما كان فى أى وقت مضى ..

رفع قبعته ، وأحنى رأسه باحترام . وقال فى أدب :

ـ لقد جئت لاستأذن فى الرحيل ياسيدى ..

فأجاب الحاكم :

ـ لقد هممت بأن ارسل فى طلبك .

وحاول أن يقابل نظرات الكابتن بلود .. ولكنه لم يستطع ..

قال :

ـ لقد قبل لى انكم وجدتم فى سفينة الاعداء اشياء ثمينة .. وان رجالك نقلوا الغنائم الى سفينتك .. ولكننى

تعلم بغير شك ياسيدى ان مثل هذه الغنائم هى حق من حقوق الملك ..

فقال الكابتن بلود فى هدوء :

ـ كلا .. اننى لا أعلم ..

ـ لا تعلم ؟! اذن لقد انبأتك

فهز بلود راسه وقال وهو يبتسم : انها غنائم حرب ..

ـ هذا صحيح .. وهذه الحرب قد أعلنت باسم الملك .. ودفاعا عن مستعمرة جلالته ..

ـ ولكنى لست من جنود الملك ..

ـ اننى استخدمتك لتكون أحد جنوده بصفة مؤقتة

فنظر اليه الكابتن بلود بامعان . وقال :

ـ ماذا كنت تفعل ياسيدى قبل ان تعين حاكما على ، انتيجوا ، ؟! هل كنت محاميا ؟!

ـ يخيل الى انك تتعمد اهانتى ياكابتن بلود

ـ اننى اهينك عامدا بغير شك . تقول انك استخدمتنى .. ولكن هذا التعبير يقلب الاوضاع .. وانى فى عجب أى مصير كان ينتظرك .. لو لم أحذرك وأقدم اليك معونتى

فقال الكولونل ببرود :

ـ دعنا نستعرض الموقف خطوة فخطوة ياكابتن بلود .. ان التحاقك بخدمة الملك ، يتضمن ويستوجب خضوعك للقوانين المعمول بها فى مستعمراته .. واستيلاؤك على غنائم السفينة الاسبانية هو عمل من اعمال القرصنة التى تعاقب عليها جميع القوانين .

وشعر بلود بان الموقف قد أصبح مسليا .. فقهقه ضاحكا .

قال الكولونل كورتنى :

ـ وواجبى فى هذه الحالة واضح .. وهو أن القى

القبض عليك ٠

ـ ولكنى أرجو أن لا يكون قد خطر لك أن تفعل ذلك ؟

ـ انني لا افعل ذلك اذا افدت من تسامحى ٠ ورحلت فى الحال

ـ سأرحل حالما احصل على عشرين الف قطعة ذهبية ٠ هى أجر اعوانى عن الخدمات التى قاموا بأدائها ٠

ـ انك خرقت القانون ياسيدى ٠ وآثرت أن تأخذ الاجر بطريقة غير مشروعة ٠ وليس عندى الان ما أقوله لك ٠

فنظر اليه بلود بامعان ٠٠

هذا الرجل يجب أن يكون مغفلا ٠٠ او خائنا ٠٠

قال وهو يضحك :

ـ ان امانتك تشجعنى على وقف حياتى لنجدة المستعمرات البريطانية ثم أردف بحزم :

ـ انني باق هنا ٠٠ حتى أتناول العشرين الف قطعة ذهبية ٠

والقى قبعته على المكتب ٠ وجلس على أحد المقاعد ٠ ووضع ساقا على ساق ٠

وهنا تعت عينا الحاكم وقال:

ـ ياكابتن ماكارتى ٠٠ ان الحراس ينتظرون فى الردهة فارجو أن تتكرم بدعوتهم ٠

ـ هل فى نيتك أن تقبض على ؟

ـ طبعا ياسيدى ٠٠ ان الواجب يحتم على ذلك وكان يحتمه على منذ وضعت قدمك هنا أول مرة ٠

ـ ادع الحراس ياكابتن ماكارتى ٠

فهتف بلود :

ـ صبرا لحظة ياكابتن ماكارتى ٠٠ صبرا ياكالونل ٠٠ هل أفهم من ذلك أنك أعلنت على حربا ؟

ـ افهم ما شئت ٠ فذلك لا أهمية له

وهنا تبددت ثقة بلود فى امانة الرجل ٠

قال :

ـ بل أن كل الاهمية ٠٠ وعادمت تريد حربا ٠٠ فليكن ما تريد وانى انذرك بانك ستجد خصومتى أشد عنفا مما وجدها الاسبانيون أمس ٠

فصاح ماكارتى :

ـ ما اظرف أن نسمع هذا الحديث من رجل فى قبضة أيدينا ٠٠

ـ لا تخدع نفسك ياكابتن ماكارتى ٠٠ فقد ظن الكثيرون قبلك أننى فى قبضة أيديهم ٠

ثم ابتسم واردف :

ـ ولكن من حسن حظ (انتيجوا) أن الحرب التى أعلنتموها على ٠٠ ستنتهى دون سفك دماء ٠٠ بل انها انتهت فعلا ٠٠ وكتب الى فيها النصر

ـ لست أرى شيئا من ذلك ياسيدى ٠

ـ ذلك لانك قصير النظر ٠٠ بل يخيل الى أن قصر النظر أصبح من المؤهلات الضرورية لحكام المستعمرات جميعا ٠٠ تمهل لحظة أخرى ياكولونل ٠٠ يجب أن أقول لك أن سفينتى فى الميناء ٠٠ وان فيها مائتين من الفراصنة الاشداء الذين لاتصمد حاميتك امامهم لحظة

وفى السفينة كذلك أربعون مدفعا تكفى لهدم المدينة من اقصاها الى اقصاها فى أقل من نصف ساعة ٠

واذا ظننت أن رجالى يتورعون عن هدم « انتيجوا » لانها مستعمرة انجليزية ٠٠ فانك تكون واهما ٠٠ لان نصف رجالى من الفرنسيين ٠٠ ونصفهم الاخر من الخارجين مثلى على القانون والجميع يتوقون لتخريب المدينة ونهبها ٠٠ أولا لان الحكومة الانجليزية ابعدتهم

ظلما وشردتهم ٠٠ وقوضت حياتهم وطمأنينتهم ٠٠ وثانيا لان فى (انتيجوا) من الذهب ما يغريهم بتهيبها ٠

فاحمر وجه ماكارتى ٠٠ ووضع يده على مقبض حسامه

أما الكولونل ٠٠ فانه نهض واقفا ٠٠ وصاح فى غضب :

ـ ولكنك غفلت عن أمر أيها المجرم الهارب ٠٠ أيها القرصان الوغد ٠٠ غفلت عن أن شيئا من ذلك لن يحدث مالم تعد الى زملائك اللصوص ٠

وقال ماكارتى ساخرا :

ـ يجب أن نشكر له أنه حذرنا ٠

ـ أنت مخطىء ياسيدى الكولونل ٠ فان سلوكك منذ رأيتك قد كشف لى عن خبيئة نفسك فوضعت خطتى على هذا الاعتبار ٠ وأمرت رجالى ان ينتظرونى فى الساعة الثانية عشرة ٠٠ فاذا لم أعد فعليهم أن ينصبوا المدافع على الشاطىء ٠٠ واظن أنهم فعلوا ذلك الان ٠٠ فقد انتصف النهار منذ ساعة على الاقل ٠

فنظر اليه الكولونل بعينين تنبعث منهما الكراهة والحقد ٠

قال :

ـ ولكنك نسيت انك فى قبضة يدى ٠٠ وسابعث الى اعوانك من ينبئهم بان أول رصاصة يطلقونها ٠ يترتب عليها شنقك فى الحال ٠

ادع الحراس ياماكارتى ٠٠ لقد أطلنا الحديث بغير طائل

ـ صبرا لحظة أخرى ياكولونل ٠٠ انك متسرع فى ترتيب النتائج فالتعليمات التى أصدرتها الى رجالى صريحة ٠٠ وأى خطر يهدد حياتى ٠٠ لا يثنيهم عن

انقاذها ٠ فاشنقنى اذاشئت ٠٠ فليس مثلى من يقيم وزنا للحياة ٠٠ ولو كنت أتيم لها وزنا لما احترفت القرصنة ٠

ولكنك اذا شنقتنى ٠ فان رجالى لا يتركون حجرا على حجر فى هذا البلد ٠ ولا يبقون على رجل او امرأة ٠ أو ولد ٠ وسيكون انتقامهم عاما وشاملا ٠ ومخيفا ٠٠

ففكر فى هذا ٠ وتذكر فى ذات الوقت واجبك نحو منبكك ٠٠ بحر هذه المستعمرة ٠ ٠

فنظر اليه الحاكم بحدة كأنه يريد أن يتغلغل فى أعماق نفسه ٠

ولكن بلود صمد لنظرته الفاحصة ٠ ولم يهتز له هدب ٠

وتطلع الكولونل الى ماكارتى ٠ فى طلب المعونة ٠ ولكنه لم يجد عنده المعونة التى يلتمسها ٠

صاح أخيرا :

ـ ذلك جزائى لانى تحالفت مع قرصان ٠ ساتخلص منك بدفع العشرين الف قطعة ٠ فوداعا ٠ ولعنة الله عليك ٠

فرفع بلود حاجبيه فى دهشة ٠ وقال :

ـ عشرون الف قطعة ؟! ذلك ما كنت أطلب حين كنا حلفاء أى قبل أن نعلن الحرب على ٠

ـ ماذا تعنى بحق الشيطان ؟؟

ـ مادمت تعترف بالهزيمة ٠ فلنتناقش فى الشروط ٠

فصاح الحاكم وقد أشتد به الغضب :

ـ أية شروط ياهذا ؟

ـ شروط الصلح ٠ فدعنى أبسطها لك ٠ اننى أطالبه بعشرين الف قطعة ذهبية أجرا لرجالى عن الخدمات التى قاموا بها ٠ وثلاثين الف قطعة فدية للمدينة ٠ لكيلا أهدمها بمدافعى ٠٠

ـ ماذا ؟ ماذا تقول ؟

فاستطرد بلود دون أن يعبأ به :

ـ وعشرة آلاف قطعة فضية لك ، وعشرة آلاف قطعة أخرى فضية لامرتك ، وخمسة آلاف قطعة فضية لاهل هذه المدينة ، وبينهم الكابتن ماكارتى ، فيكون المجموع خمسة وسبعين الف قطعة ذهبية يتعين عليك أن تدفعها قبل انقضاء ساعة ، والا ضربت المدينة بالمدافع ..

ـ انك تستغل سعة صدرى .. انت تظننى مجنونا بغير شك ..

وانفجر ماكارتى قائلا :

ـ من الافضل أن نشنقه وينتهى كل شىء .

ـ سيترتب على ذلك تخريب المستعمرة التى يحتم عليك الواجب صيانتها بأى ثمن . هل فهمت .. بأى ثمن ..

فجفف الحاكم العرق المتصبب على جبينه وتأوه .

واستمر الحديث بينهم فترة أخرى . ولكنه لم يتجاوز الدائرة التى رسمها الكابتن بلود ..

وأخيرا ضحك الحاكم ضحكة عصبية وقال :

ـ اظن انه لم يبق لنا ياسيدى الا نحيى فيك التواضع والاعتدال وفى الحق لا أدرى لماذا لا تطلب سبعمائة الف قطعة ذهبية أو سبعة ملايين قطعة .

فأجاب بلود :

ـ الواقع أننى متواضع ومعتدل بالغريزة .. ثم ان لدى فكرة صحيحة عن الاموال التى فى خزانتك ..

فصاح الحاكم فى يأس . وعلى سبيل التسليم :

ـ والمهلة التى حددتها ؟ كيف أستطيع تدبير هذا المبلغ

الباهظ خلال ساعة .

ـ اذن سأمهلك حتى الغروب .

والآن يجب أن أنصرف .. لامنع رجالى من تخريب المدينة .. طاب يومك ياسيدى .

ولم يفكر أحد فى منعه من الانصراف .

وعند الغروب . مضى ماكارتى الى الميناء .. يقدمه زنجى ، وجوال محمل بالذهب .

وتقدم الكابتن بلود بمفرده لاستقباله .

قال ماكارتى وهى يصرف بأسنانه :

ـ لو أننى فى مركز الحاكم لما سمحت لك بقطعة واحدة من هذا الذهب .

فأجاب بلود :

ـ سوف أذكر ذلك فى المستقبل .. حين تنصب حاكما على احدى المستعمرات .. أما الآن فاننى أسألك . ماذا أحضرت لى ؟ وماذا يوجد فى هذه الاكياس ؟

فقال ماكارتى :

ـ توجد خمسة آلاف قطعة من الذهب فى كل كيس .

ـ هذا حسن .. أترك لى أربعة أكياس .. اى العشرين الف قطعة التى اتفقنا عليها لقاء خدماتنا .. أما الباقى فعد به الى الحاكم مع تحياتى وعسى أن يتعلم من هذه التجربة أن واجب الانسان نحو شرفه يجب أن يقدم على واجبه نحو وظيفته .

فازدرد ماكارتى لعابه بصوت مسموع .. وهتف :

ـ يالهى .. أتفعل ذلك وأنت .. وأنت قرصان .

فأجاب بلود بصوت بارد كالفولاذ :

ـ أنا الكابتن بلود .

الفصل الخامس

المبارزة

عاد الكابتن بلود الى ـ تورتوجا ـ بعد مغامرة فى (ريودى لاهاش) حيث سطا بنجاح على اسطول أسباني كبير يشتغل بصيد اللؤلؤ فى نهر (لاهاش)

وغنم ـ بلود ـ من هذه المغامرة كمية كبيرة من اللآلىء ، وسفينة فخمة ، اطلق عليها اسم ـ هرمس ـ

وهكذا اصبح اسطوله يتالف من ثلاث سفن كبيرة حديثة ، كاملة السلاح ، هى ـ ارابيللا ـ و ـ سسان توماس ـ و ـ هرمس ـ وقد قصد بهذا الاسطول الى تورتوجا ، التماسا للمؤن والذخيرة ، ولتطهير السفن واصلاحها .

وكان الميناء وقتئذ حافلا بسفن القراصنة ، والمدينة تموج بالمغامرين ولصوص البحر ، والحانات والنساء من كل نوع ، وكل جنس ، تتعاون على تخفيف جيوب البحارة ، وادخال السرور على نفوسهم .

ولما كان مسيو دوجيرون ، حاكم تورتوجا ، ومندوب شركة الهند الغربية ، يقتضى نسبة معينة من غنائم القراصنة نظير ايواء سفنهم فى الميناء ، فان ازدحام الميناء بالسفن ، كان دليلا على أن مسيو دوجيرون لايعانى الازمة التى يعانيها سائر حكام الاقاليم .

على أن ازدحام المدينة بذلك العدد الكبير من القراصنة واللصوص وغير المرغوب فيهم ، كان من شانه دائما ان يشعر الرجل بالقلق والفزع .

وقد كانت لمسيو دوجيرون ابنتان ، احداها سمراء ناضجة الانوثة تدعى مادلين ، والاخرى رقيقة ضروبة

شقراء تدعى لوميان .

وكانت مادلين فتنة مشهورة ، فهى برغم جمالها وفتنتها ، ومركزها فى الهيئة الاجتماعية ، قد وقعت فى حبائل قرصان فرنسى يدعى ليفاسير .

وأراد والدها أن ينقذها .. على الرغم منها .. من الخطر الذى يهددها .. ويهدد مستقبلها .. فارسلها فى احدى السفن الى فرنسا ..

وعلم ليفاسير بذلك فى الوقت المناسب .. فتبع السفينة ، واقتنصها واختطف الفتاة ..

وعندئذ فقط عرفت الفتاة ليفاسير على حقيقته .. وفهمت خيبة نفسه .. وادركت انه يريدها للمتعة وعشيقة .. لازوجة ..

وكان من حسن حظها ان تدخل الكابتن بلود ، وانقذها من قبضة ليفاسير .. واعادها الى ابيها بعد أن ردتها هذه التجربة الى صوابها .

ومنذ ذلك العهد بدأ مسيو دوجيرون يعنى عناية خاصة باختيار شيوفه ، وزائريه ، والمترددين على ابنته .. حتى لاتقع ابنته فى حبائل أحد الاوغاد وتتكرر مأساة مادلين ..

ولم ينس دوجيرون الخدمة الجليلة التى قدمها الكابتن بلود لاسرته فتوثقت بينهما أواصر صداقة قوية .. واصبح الحاكم ينظر الى بلود كأنه احد افراد أسرته ..

ولما كان ضابط بلود واعوانه الممتازون يختلفون كل الاختلاف عن سائر القراصنة .. لانهم احترفوا القرصنة مرغمين عقب نفيهم وتشريدهم بسبب عقائدهم السياسية .. فان مسيو دوجيرون لم يجد مانعا من السماح لهم بزيارته .. والاختلاف على بيته فى كل وقت ..

على أن ذلك أوجده أمام صعوبة أخرى .. فانه وقد فتح بابه للكابتن بلود وضباطه .. لم يكن في وسعه أن يحسد غيرهم من القباطنة وزعماء القراصنة دون أن يشعر هؤلاء بالاهانة .. ولذلك اضطر أن يفتح بابه أيضا للكثيرين ممن لايحبهم .. ولا يثق فيهم ..

وبين أولئك الذين قبل دوجيرون رغم أنفه .. شاب مغامر هو الكابتن « توندير » .. قبطان السفينة « مارجو » ..

وقد حار دوجيرون .. كيف يتخلص من الكابتن « توندير » وزياراته غير المرغوب فيها .. وتضاعفت حيرته .. وزادت همومه .. حين لاحظ أن هذا الضابط الشاب .. ينظر الى لوسيان بعين الاعجاب ، ويحاول أن يخطب ودها ..

ولم تنته هموم دوجيرون عند هذا الحد .. فقد لاحظ أيضا وبشيء كثير من الحزن والاسى .. أن هناك شابا آخر يتردد على بيته .. حبا في لوسيان .

وهذا الشاب هو جيريمي بيت أحب الناس الى الكابتن بلود .

واذا كانت الطبيعة قد سبت رجلا في قالب العاشق الكامل . فذلك الرجل هو جيريمي .

كان جميل الطلعة .. بريء التقاطيع .. صافي العينين .. أشقر شعر الرأس .. يجمع بين نشاط الرجولة .. ورقة الانوثة .. وكان فضلا عن ذلك شعري المزاج .. وهو شرط أساسي في العاشق الكامل .

وقد شعر جيريمي بالغريزة .. ومن لطف لوسيان . أن الفتاة ليست قليلة الاكتراث به .

ففي أحد الامسية .. كان يسير معها في حديقة المنزل .

وكان الجو صحوا والنسيم عليلا .. والهواء معطرا بشذى الزهور فتحركت شاعريته .. وفاض غرامه .. واعترف للفتاة بأنه يحبها .

وقبل أن تفيق الفتاة من دهشتها وذهولها .. كان جيريمي قد احتواها بين ساعديه .. وسجل غرامه بقبلة على شفتيها .

ووقفت الفتاة أمامه مضطربة مرتجفة .. وغمغمت :

ـ ولكن .. ولكن ياسيدي جيريمي .. لم يكن ينبغي أن تفعل ذلك .

وترقرقت الدموع في عينيها .. وأردفت :

ـ اذا علم والدي ..

فقاطعها جيريمي قائلا بلهجة التأكيد :

ـ سأتيه .. انني اريده على أن يعلم .. وسيعلم الان .

وكان لايزال نملا بنشوة القبلة .. حين سمع وقع أقدام ورأى بين الاشجار شخصين يقتربان .

كان القادمان هما الانسة مادلين .. ومسيو دي ماركير .

ومسيو دي ماركير هو ابن أحد مديري شركة الهند الغربية الفرنسية .. وقد أرسله أبوه في رحلة ثقافية .. الى (تورتوجا) .. حيث للشركة مصالح جوهرية ..

ووصل الشاب الى (تورتوجا) منذ أسبوعين .. وترك سفينته (البجعة) في الميناء . ونزل ضيفا على دوجيرون .

وأشفق (جيريمي) أن يلاحظ دي ماركير ومادلين اضطرابه .. فانصرف مسرعا .. وقصد الى منزل دوجيرون .. وقابل الرجل في مكتبه .. وفاتحه في الامر ..

ولم يكتم دوجيرون اسفه ·· وقال في لطف انه قد وعد بابنته رجلا آخر ··

ودهش جيريمي ·· وهتف :

ـ وعدت بها رجلا آخر ؟! ولكنها لم تذكر لي شيئا من ذلك ··

ونمى انه لم يترك للفتاة فرصة لتقول له شيئا ··

قال دوجيرون :

ـ لعلها لاتعلم ·· فان لنا نحن الفرنسيين تقاليدنا في ترويج بناتنا ·

وهنا القى جيريمي خطبة بليغة ·· تكلم فيها عن حق المرأة في اختيار زوجها ··

وأصغى اليه دوجيرون في صبر · ثم قال :

ـ اصغ الي ياعزيزي جيريمي ·· انني ارجوك أن تنظر الى مركزك في الهيئة الاجتماعية ·· فأنت فرحان ·· ولست أقول ذلك لاهانتك وخدش شعورك ·· وانما لكي القفك الى انك تعتمد على حياتك في المغامرات · فايةطمانينة اذن ·· وأية سعادة ·· تستطيع ضمانها لهذه الفتاة الرقيقة ؟ !

هب أن لك ابنة ياسيدو جيريمي ·· فهل يسرك ان تزوجها من أحد القراصنة ؟ !

فأجاب جيريمي على الفور :

ـ طبعا اذا كانت تحبه ·

ـ وما معنى الحب ياصديقي ؟

ورغم أن جيريمي عرف معنى الحب بعد تلك القبلة اللذيذة ·· فقد ارتج عليه القول ·· ولم يفتح الله عليه بكلمة يبين بها معنى الحب ·

ولاحظ دوجيرون حيرته وتردده ·· فابتسم في رفق وقال :

ـ ان الحب في نظر العاشق هو كل شيء · ولكن ليس شيئا يذكر في نظر الاب الذي يشعر بمسئولياته ·

انك شرفتني بطلب يد ابنتي ياسيو جيريمي ·· ويحزنني أنني لاأستطيع اجابة طلبك ·· ومن الخير الا تفكر مطلقا مودتنا بالتحدث في هذا الموضوع مرة أخرى ·

ولكن العاشق الذي يشعر بأن امرأة بعينها ضرورية لسعادته ·· وتحدثه نفسه ·· أو تحدثه أمانيته بانه ضروري كذلك لسعادة هذه المرأة ·· مثل هذا العاشق قل أن يعدل عن بغيته لمجرد اصطدامه بأول عقبة ·

وقد أراد جيريمي أن يستأنف الحديث · وأن يدافع عن وجهة نظره ولكنه فوجيء بدخول دي ماركير ومادلين الحسناء ·

وسأل دي ماركير عن مارسيل بصوته ونظراته ·

كان ساحر الصوت · ساحر العينين ·· ساحر الشخصية · ويخيل للناظر اليه أنه تمثال رقيق من الخزف ·· على استعداد لان يتحطم من أول صدمة ·

وكانت مارسيل قد فرت الى غرفتها ·· فلم يجدها دي ماركير في الحديقة ·· ودهش حين لم يجدها مع أبيها ·

قال انه يريد أن يسمع صوتها الساحر وهي تغني ·· كما غنت وأبخلت السرور على نفسه في الليلة السابقة · فانطلقت مادلين في البحث عن أختها ولم يشأ جيريمي وهو في تلك الحالة من الحزن والانقباض أن ينصت الى صوت لوسيان وهي تدخل السرور على نفس دي ماركير ·· فاستأذن ·· وانصرف ·

وقصد الى (أرابيللا) واجتمع هناك بالكابتن بلود ، وحسب في أذنيه بالامه ومتاعبه ··

وكان بلود يقرأ كتابا ·· فوضع الكتاب جانبا ··
وأصغى الى الشاب ·· ونظر اليه فى عطف ·· ولكنه لم يكتشه رأيه ··

قال له أن (دوجيرون) كان على حق ·· حين أفهمه أن مهنته لاتبرر زواجه ·

واستطرد :

ـ هذا سبب واحد ·· وثمة سبب آخر ·· هو أن لوسيان فتاة ساحرة طروبة ·· وسلوكها من شأنه ألا يطمئن الزوج الذى لايستطيع ملازمتها وكبح جماحها ··
وأنا أعلم أن الكابتن توندير يتردد يوميا على بيت مسيو دوجيرون ·· فهلا خطر لك أن تبحث عما يجتذبه الى هذا البيت ·؟

ثم لماذايتسكع دى ماركير فى (تورتوجا) ·· ويرفض أن يبرحها وهى مقفرة من ضروب اللهو التى تحبب اليها شابا باريسيا مثله ·؟

وهناك كثيرون غير هذا وذاك ·· يجتذبهن بيت دوجيرون كما يجتذبه ·

فصاح جيريمى فى غضب :

ـ قبح الله ريبتك الخبيثة ·· ماالذى يشجعك على هذه الظنون الاثيمة ·؟

ـ يشجعنى عليها ماأراه ببصرى ، وأدركه ببصيرتى ، فانت لست أول من قبل شفتى الانسة لوسيان ·· ولن تكون آخر من قبلهما ·· حتى ولو اقترنت بها ··
ان لها نظرات مغرية ·· ولو كانت زوجتى ماخرجت الى عرض البحر مطمئنا ·· فاشكر الله على أنك لست الزوج الذى اختاره لها أبوها ··
ان النساء الساحرات اللواتى على مثال لوسيان قد

خلقن فقط لتعكير صفو العالم ··

واستنكر جيريمى هذا الحديث كما يستنكر حديثا كله كفر وجحود وأنكر على صديقه أن يظن كل الظنون فى مخلوقة ملائكية مثل لوسيان ·· وخرج من المكان مغضبا ··

على أن كلمات بلود ·· كانت بمثابة سكب البترول على النيران المشتعلة فى صدر العاشق الشاب ·· واذا كانت الغيرة القاطعة تقتل الحب ·· فان مجرد الشك يلهب العاشق ·

وهكذا كان ··

فما كادت تبزغ شمس اليوم التالى ·· حتى كان جيريمى فى طريقه الى بيت دوجيرون ·· وهناك وجد لوسيان تسير فى المدينة وبرفقتها ذلك الرجل المقيت · الكابتن توندير ·

كانت لهذا الرجل سمعة سيئة · وقد قيل أنه أستاذ للعب بالسيف فى باريس · وأنه خرج من البحر فرارا من أسرة تريد الانتقام منه ·· لانه قتل أحد أفرادها فى مبارزة غير عادلة ··

كان رجلا متوسط القامة ·· نحيف الجسم ·· ولكنه قوى الاعصاب · قوى العضلات ·

ورفع الكابتن توندير رأسه · ورمق جيريمى بنظرة وقحة ·· كأنه يدعوه الى الانصراف ·

ولاحظ جيريمى أن الرجل يحيط خصر الفتاة بساعده ·

واضطربت الفتاة ·· وأتت بحركة سريعة ·· لتتخلص من محاصرة توندير ··

صاحت :

ـ آه هو ذا مسيو جيريمى ··

ثم استطردت :

ـ فى الحق انني لم أكن انتظرك يامسيو جيريمى ·

وتناول جيريمى يدها ·· ورفعها الى شفتيه ·· ثم ساد صمت مزعج · بدده تونديير أخيرا بقوله :

ـ هل سمعت ياسيدى ·· ان الانسة لوسيان لم تكن تنتظرك ·· ومتى قالت المرأة لرجل انها لم تكن تنتظره · فمعنى ذلك أنه يتطفل عليها ·

فأجاب جيريمى :

ـ لاشك أنك تعلمت ذلك بالتجربة ·

فابتسم الكابتن تونديير ، وقال :

ـ انني لم أكن قط متطفلا ··

وهنا تدخلت لوسيان بينهما وصاحت · وهى لاهثة الانفاس :

ـ ماهعنى هذا ؟ ماذا تقول ياكابتن تونديير · ان مسيو جيريمى صديقى · وأنا أرحب دائما بزيارته ·

فأجاب تونديير :

ـ ولكن ليس معنى ذلك أن جميع أصدقائك يجب ان يرحبوا به ·

فقالت :

ـ انت مخطىء ايضا ياكابتن ·· فانا لست صديقة لمن لايرحب بأصدقائى ··

فعض تونديير شفته · وتنفس جيريمى الصعداء ·

ولكن الموقف كان حرجا · وكان يمكن أن يزداد دقة · لولا أن برز دوجيرون ودى ماركير فجأة ·

واستأذن تونديير فى الانصراف ·· وودع جيريمى بان قال وعلى شفتيه ابتسامة مقيتة :

ـ آمل أن نتقابل فى وقت قريب · لنستأنف حديثنا الممتع ·

وأراد جيريمى أن ينصرف بدوره · ولكن دوجيرون استوقفه بقوله :

ـ صبرا لحظة ياسيو جيريمى ·

وكان دوجيرون قد ادرك بذكائه ماهنالك · فتابط ساعد جيريمى وانتحى به ناحية ··

قال له :

ـ ان كلمات تونديير لم تعجبنى · وكذلك لم تعجبنى ابتسامته · انه رجل خطر · ومن الحكمة أن تحذره ·

فحملق جيريمى فى وجهه وسأل :

ـ هل تظننى أخشاه ؟

ـ أظن من الحكمة أن تخشاه · انه كما قلت لك شديد الخطر ·· ونذل · وهو يتردد على هذا المنزل كثيرا ·

ـ مادام ذلك رأيك فيه فلماذا تسمح له بزيارة منزلك ؟

فقلب دوجيرون كفيه ·· وقال :

ـ وكيف أمنعه · وهذا رأيى فيه ؟

ـ هل تخشاه ؟؟

ـ انني أعترف بذلك · ولكنى لاأخشاه من أجل نفسى ·· بل من أجل لوسيان ·· فهو يعمل على التقرب اليها ·

فصاح جيريمى وهو يرتجف غضبا :

ـ الم يكن فى استطاعتك أن تمنعه من دخول منزلك ؟

ـ طبعا ·· ولكنى فعلت مثل ذلك مع ليقاسير ·· وأنت تعرف ماذا كانت النتيجة ·

ـ ولكنى ·· ولكن الانسة مادلين كانت منخدعة فى ليقاسير وهى التى ساعدته على تنفيذ خطته ·· أما لوسيان ·

ـ من يؤكد أنها لاتفعل مافعلت أختها من قبل ؟ ان تونديير على شىء من الجاذبية رغم نذالته ·· والفارق بينه

وبين ليفاسير .. أنه كان فيما مضى رجلا كريما شريفا وهو لايزال يذكر تقاليد الشرفاء .. وطباعهم .. ومن السهل عليه أن يخدع فتاة ساذجة كلوسيان .

فتنهد جيريمي وقال :

ـ ولكن مافائدة التردد والتخذل .. سيتحتم عليك أن تطرده في أحد الايام .. وعندئذ ..

فقاطعه دوجيرون :

ـ هذا صحيح .. ولكني ارجىء الشر حتى تحين الفرصة المناسبة لازالته .

ثم غير مجرى الحديث فجأة وقال :

ـ عفوا ياسيو جيريمي .. لقد ازعجتك بمتاعبي .. انما اردت فقط أن أحذرك .. وآمل ألا تضرب بتحذيري عرض الافق .

وأدرك جيريمي غرض دوجيرون .. وفهم أن الرجل يعتقد بأن تونديز يرى فيه غريما سوف يعمل بكل الوسائل على ازالته .

قال :

ـ شكرا لك ياسيو دوجيرون .. انني أعرف كيف ادافع عن نفسي .

وافترقا .

واجتمع جيريمي بالكابتن بلود حول مائدة الطعام .. وقص عليه ماحدث .. فقال بلود وعلى وجهه علامات التفكير :

ـ أظن أن دوجيرون على حق .. وأنه يحسن بك أن تتبع في السفينة .. واكبر ظني أن تونديز سيبحث عنك ويتحرش بك .

ـ وترى من أجل ذلك أن اجتنبه .

ـ اذا كنت عاقلا فاجتنبه .

ـ بل قل اذا كنت جبانا ..

ـ ان جبانا على قيد الحياة .. افضل من أحمق في جوف القبر .. اذ لاشك أن تونديز سيبعث بك الى القبر اذا قابلك .. ولا تنس أنه من أساتذة اللعب بالسيف .. أما أنت .. ياالهي .. انه اذا تبارز معك . فكأنه يرتكب جريمة قتل .

وكان جيريمي يعلم ذلك .. ولكن كبرياءه ابت عليه أن يعترف .

وكانت النتيجة أنه ضرب بنصيحة بلود عرض الافق .. وغادر السفينة .. ورافق هاجثورب وولفستون الى حانة (ملك فرنسا) .

وكانت الحانة غاصة بالقراصنة .. ومنهم بعض بحارة السفينة « البجعة » والحمساء والخمر يفتكان بجيوب القراصنة فتكا ذريعا ..

ودخل الكابتن تونديز الحانة .. ويده على مقبض حسامه .. وحيى بعض اصدقائه باحناء رأسه .. ثم وقف امام المائدة التي جلس عليها جيريمي .. وقال :

ـ هل تسمح لي .

وتناول مقعدا .. وجلس عليه قبل أن يسمع الجواب .. ثم اردف :

ـ من حسن الحظ أن يكون في استطاعتنا الان أن نستأنف حديث الصباح .

وأدرك جيريمي غرضه .. ونظر اليه في قلق .

ولم يفهم هاجوثرب وولفستون ما يقع أمامهما .

قال تونديز :

ـ لقد تحدثنا في الصباح عن التطفل .. وعن بلادته وعجزك عن أن تفهم أن وجودك غير مرغوب فيه ..

فانحنى جيريمي الى الامام وقال :

ـ ان الحديث بيننا قد انتهى بانتهاء طروفه ·· واكبر ظني انك جئت خصيصا للتحرش بي ·

فقطب توندير حاجبيه وهتف

ـ انا ! ! وماذا يحملك على هذا الظن ! ! لماذا اتحرش بك وانا لا اشعر بوجودك ·· وليس في استطاعتك ان تلحق بي اذى ؟ ؟ انك من طينة اخرى غير طينتي ·· ولولا ذلك لقتلتك كما اقتل البرغوث ·

وضحك ضحكة مهينة اثارت حنق جيريمي ·· وذلك ما اراده توندير ·

قال جيريمي :

ـ انني لست برغوثا تستطيع قتله ··

ـ اتظن ذلك ! ! اذن فحاذر ان تقف في طريقي مرة اخرى ·· والا وجدت نفسك تحت خنصري ··

قال ذلك بصوت مرتفع سمعه جميع نزلاء الحانة ·· فحبسوا انفاسهم ·

ودار توندير على عقبيه ·· وهم بالانصراف حين سمع جيريمي يقول :

ـ انك كلب وقح ··

فرفع توندير حاجبيه ·· وارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ··

قال ببطء :

ـ كلب ؟ ؟ انني لا احب هذا الوصف ·· واكون شاكرا اذا سحبت كلمة (كلب) ·· وسحبتها في الحال ·· لانني لست رجلا واسع الصدر ·

فقال جيريمي :

ـ انني سحبتها بطبيعة الحال ·· لانني لا اقصد اهانة الحيوان ·

ـ تعني انك لا تقصد اهانتي ··

ـ بل اعني لا اقصد اهانة (الكلب) ·· وما دامت كلمة (كلب) لا تعجبك ·· فانني استعيض عنها · بكلمة ··

وهنا قال صوت حاد رنان :

ـ بكلمة « فار » ··

فنظر « توندير » خلفه بسرعة ·· فرأى الكابتن بلود يقترب منه ببطء وهو يتوكأ على عصاه ·· ويتكلم بهدوء ··

استطرد بلود وهو لا يزال يتقدم :

ـ نعم ·· أظن ان كلمة « فار » تؤدي الغرض المطلوب يا كابتن (توندير) ·· لانك اقرب الى الفار منك الى الكلب ··

ووقف في انتظار الجواب ··

قال « توندير » وهو يضحك ساخرا :

ـ فهمت ·· فهمت ·· ان هذا الجبان الصغير في حاجة الى من يحميه ·· ولذلك يتدخل الاب بلود لانقاذه من قبضات نذالتي ··

فقال بلود :

ـ طبعا يجب علي ان احميه ·· لانني لا ارضى لقبطان بطولي ان يقتل بيد قاتل محترف ·· فتدخلي ضروري كما ترى وكان يجب ان تتوقعه ·· واحسبني قد ترفقت حين وصفت نذلا جبانا مثلك بانه « فار » فحسب ··

انك تتجر بشهرتك كرجل بارع في استعمال السيف ، ولكنك حريص على اختيار ضحاياك من بين الذين يجهلون حمل الحسام ، وتلك هي طريقة الانذال ·· بل وطريقة القتلة ··

ـ كلا ٠٠ كلا ٠٠ انني لا افعل ذلك ٠٠

ـ اذن فبرهن على ذلك ٠٠ تقدم لمبارزتي ٠٠ وارغمني بذلك على أن أسحب كلامي في الحال ٠٠ واذا قدر لك أن تموت بيدي ٠٠ فحسبك أن تموت شريفا ٠٠ بعد أن عشت نذلا ٠٠ ان الغرفة المجاورة خالية ٠٠ فاذا ٠٠

فقاطعه توندير بقوله :

ـ ليس في استطاعتك أن تصرفني عن الواقع بهذه السهولة ٠٠ ان حسابي مع مستر جيريمي ٠٠

ـ ارجئه ٠٠ ربما تصفى حسابك معي ٠٠

ولكن توندير ضبط نفسه ٠

وقال وهو شاحب الوجه ٠٠ وانفاسه تتردد بسرعة :

ـ اصغ الي يا كابتن بلود ٠٠ ان هذا الفتى قد اهانني على مسمع من هؤلاء القوم ٠٠ وانت ترى أنك تتدخل في امر لا يعنيك ٠ ولكن هذا لا يطاق ٠٠ وانى أحتكم الى السامعين ٠

كانت مجاورة بارعة ٠ وقد اعجبت اكلها في الحال ٠ اذا انضم السامعون الى صفه ٠ وانضم اليه رجال الكابتن بلود انفسهم ٠ فقال ولفستون :

ـ ان الكابتن توندير على حق يا بلود ٠٠ ولا صلة لك بالخلاف الذي شجر بينه وبين جيريمي ٠

فصاح توندير :

ـ هل سمعت ؟ !

فاجاب بلود :

ـ بل ان صلتي به وثيقة ٠ لانك تريد ارتكاب جريمة قتل ٠٠ واريد منع هذه الجريمة ٠

قال ذلك وترك عصاه ٠ والقى بيده على مقبض حسامه ٠

ولكن بعض القراصنة نهضوا واقفين ٠٠ واحتجوا عليه بحدة ٠٠ وغضب ٠٠

وشعر بلود بان الجميع ـ حتى أعوانه ـ لا يصوبون سلوكه ٠٠ فوقف مترددا ٠

وهمس هاجثورب في اذنه ٠

ـ حذار أن تثير فتنة يا بلود ٠٠ انك جئت بعد فوات الوقت ٠

ـ ولماذا لم تحل دون وقوع هذا ٠٠ يا الهي ٠ لقد انطلق المغفل لمبارزته ٠

والواقع ٠٠ ان جيريمي نهض واقفا ٠ وتقدم توندير الى الغرفة المجاورة ٠ كما يتقدم الحمل الجزار ٠

وبذل بلود جهدا عنيفا لكي يضبط شعوره ٠

وكانت الغرفة المجاورة خالية الا من بضع مقاعد وموائد اخرجت في الحال ٠

كانت غرفة صيفية ٠٠ مبنية بالخشب ٠ وبها فتحة واسعة تنبعث منها سيل من أشعة الشمس المحرقة ٠

وخلع الغريمان ثيابهما وجردا حسامهما ٠ ووقفا وجها لوجه ٠٠ وأحدهما وهو جيريمي ٠ طويل القامة متين البناء ٠٠ ممتلىء حيوية ٠٠ والثاني نحيف ٠ نحيل ولكن سريع الحركة كالنمر ٠

ووقف بلود وولفستون في ركن امام مائدة صغيرة وضعت عليها طائفة من الاشياء بينها بعض الكئوس والاواني ٠٠ وشمعدان من النحاس ٠

وكان بلود ممتقع الوجه ٠ بادي الجزع ٠ وفي عينيه نظرة شريرة ٠٠ قاخذ بالاشياء التي فوق المائدة ٠٠ ليخفي اضطرابه ٠

ووقف الغريمان على استعداد ٠ وأجال جيريمي

البصر حوله حتى التقت عيناه بعيني بلود ٠

ابتسم له ٠٠ ولكن بلود لم يبتسم ٠ بل اشار اليه اشارة خاصة ٠٠ فهمها الشاب ٠

وبدأت المبارزة ٠٠ وعمل جيريمي باشارة بلود ٠٠ وهجم على يسار تونديز ٠٠ فانحرف هذا نحو اليمين ٠٠ وبذلك كانت لجيريمي الفرصة الوحيدة التي يستطيع انتهازها ٠٠ اذ اصبح تونديز في مواجهة النافذة ، واشعة الشمس تبهر عينيه ٠

وبذل جيريمي قصارى جهده ٠٠ لابقاء خصمه في ذلك الموقف ٠ واستنجد بكل مواهبه وقوته ٠٠ وسرعة حركاته لانتهاز هذه الفرصة ٠٠ ولكن تونديز كان شديد البراعة ٠٠ فلم يرفع حسامه عن حسام جيريمي ، بل ظل يتعقب فصل غريمه بنصل حسامه ٠٠ ثم دفع عن نفسه ملعنة سددها اليه جيريمي ٠٠ وتحرك في ذات الوقت بمهارة ٠٠ وهكذا تخلص من موقفه الحرج أمام النافذة ٠

وصرف الكابتن بلود باسنانه ٠٠ واغاظه ان يضيع تلك الفرصة الفريدة ٠

على ان المبارزة لم تنته بالسرعة التي كان يتوقعها بلود ٠٠ ليس لان جيريمي استطاع ان يفيد من نشاطه وطول ساعده ٠٠ أو لان غريمه نسي براعته القديمة لقلة التدريب ٠٠ وانما لان تونديز قصد الا يقتله في الحال ٠٠ انما لانه اراد ان يداعب غريمه كما تداعب القطة الفار ٠٠ واما لانه كان يشفق من انتقام بلود ٠٠ فاراد فقط ان يعجز خصمه ٠٠ بان يجرحه أو يجرده من حسامه ٠

ومهما يكن من أمر ٠٠ فقد دهش النظارة لابطاء تونديز في الاجهاز على خصمه بعد ان لاحت له عشرات

الفرص ٠٠ وزادت دهشتهم حين رأوه يرغم خصمه على الوقوف في مواجهة النافذة لكي تبهر اشعة الشمس عينيه ٠٠ وادركوا أنه يقصد من ذلك الى التنكيل بغريمه قبل أن يفتك به ٠

واصبح تونديز واقفا ٠٠ وظهره الى النافذة ٠٠ ووجهه نحو الركن الذي وقف فيه الكابتن بلود ٠

وعندئذ تناول بلود الشمعدان النحاسي ٠٠ وراح يعبث به ٠

لم يلاحظ أحد ٠٠ فقد كانت جميع العيون تنظر الى الخريمين ٠٠ وخيل أن (بلود) هو الوحيد الذي لا يهتم بالمتبارزين ٠٠ وان كل اهتمامه موجه الى الشمعدان النحاسي ٠

ورفع الشمعدان بين يديه ٠٠ كانما ليفحصه ٠

واصبح الشمعدان في وضع افقي ٠٠ وقاعدته نحو النافذة ٠٠ وبالتالي نحو تونديز ٠

وفي هذه اللحظة ٠٠ وبغير سبب واضح ٠٠ مال الحسام في يدي (تونديز) ٠٠ واندفع حسام جيريمي الى الامام بحركة آلية غير مقصودة ولم يجد ما يعترضه ٠٠ ففاض في صدر تونديز ٠

وقبل أن يتمكن أحد النظارة من تعليل هذه النتيجة المدهشة غير المنتظرة ٠٠ كان الكابتن بلود راكعا على ركبته بجانب الرجل الجريح ٠

طلب ماء و اربطة نظيفة ٠

واختفى الكابتن بلود الترصان ٠٠ وحل مكانه الدكتور بلود ٠

ووقف جيريمي بجانبه وهو لا يكاد يصدق اذنيه ٠

وبينما كان بلود يضمد الجرح ٠٠ افاق تونديز من

غشيته الوقتية ·· وفتح عينيه ·· ونظر فى وجه بلود باعمان ·· وغمغم :

ـ أيها القاتل ·

وسقط راسه ··

قال بلود :

ـ على العكس ·· انني أعمل على انقاذ حياتك ··

ثم نظر الى القوم وقال :

ـ الجرح غير قاتل ·· وقد يبرأ منه بعد شهر ·· ولكنه فى حاجة الى عناية شديدة ·· ويجب ابقاءه هنا لبضعة أيام بغير حركة ·

وعاد جيريمى الى ارابيللا وهو لا يزال يكذب حواسه ·

كانت حوادث ذلك النهار أشبه بحلم ثقيل ·· وأدهشه انه لا يزال حيا رغم انه رأى الموت بعينى راسه ·

قال متفلسفا :

ـ ان العبرة فى مبارزة اليوم هى أن الانسان يجب الا يخاف أو يقر بالهزيمة فى اية مبارزة ·

لقد كان من المحتمل جدا أن اقتل اليوم ·· لا لشىء الا انني أوهمت نفسى سلفا بأن توندير أبرع منى فى اللعب بالسيف ··

فأجاب بلود

ـ ليس بعيدا ان يكون أبرع منك ·

ـ اذا صح ذلك ·· فكيف هزمته ؟

وغمغم وأفستون فى دهشة :

ـ نعم ·· كيف ·· كيف بحق السماء ·

فأجاب بلود :

ـ الظاهر أن شهرة الشقى فى اللعب بالسيف قائمة

على مجرد غروره وخيلائه ·· ومزاعمه ·· والغرور والخيلاء ·· والمزاعم الكاذبة ·· هى راسمال الكثيرين من المشهورين ··

وانتهى الحديث عند هذا ··

وفى صباح اليوم التالى ·· اقترح بلود على جيريمى ان ينطلقا معا الى مسيو دوجيرون لاخطاره بما حدث ·· فقد كان من حق الرجل بصفته حاكم تورتوجا وبصرف النظر عن صلته بالتبارزين ·· أن يخطر بما حدث ·

ورحب جيريمى بهذا الاقتراح ·· فقد كان على استعداد لزيارة بيت دوجيرون فى كل وقت · ولاسيما بعد أن أحيط من حوادث اليوم السابق بهالة من البطولة ··

ولاحظ بلود وهو ينتفل بقاربه الى الميناء أن السفينة (البجعة) ليست فى مكانها ··

وشعر جيريمى بكثير من الارتياح ·· حين ادرك ان دى ماركير قد رحل عن (تورتوجا) أخيرا ·

واستقبلهما الحاكم مرحبا ··

قال لهما انه سمع بحادث الحانة ·· وان لا ضرورة للايضاح ·· لانه يعرف اسباب الحادث ·· ولا ينوى اتخاذ شىء من الاجراءات الرسمية المتبعة فى مثل هذه الظروف ··

واستطرد قائلا فى صراحة :

ـ ولو كانت النتيجة عكسية ·· لاتخذت الاجراءات الضرورية ضد توندير ·· لانني أعرف نواياه ·· وأعرف انه المعتدى ·

أما الان ·· فكأن الحادث لم يكن ·· وأقول الحق انك أزحت عن صدرى عبئا ثقيلا يا مستر جيريمى ··

ووجد جيريمى من لطف الرجل ما شجعه على

الاستئذان فى مقابلة الانسة لوسيان ..

ولكن دوجيرون نظر اليه فى دهشة وهتف :

ـ لوسيان .. ؟! ولكن لوسيان ذهبت .. انها ابحرت الى فرنسا بالسفينة (البجعة) .. أبحرت ليلة أمس ..

فردد جيريمى .. وقد شعر بدوار فجائى :

ـ مع .. مع زوجها ؟ ؟!

ـ نعم .. مع مسيو دى ماركير .. الم أقل لك انني وعدت بها رجلا آخر .. ؟ لقد عقد زواجهما ليلة امس .. وابحرا فى الحال ، ولهذا قلت لك انك ازحت عن صدرى عبئا ثقيلا .. فقد كان رحيلهما متعذرا قبل ان ينزل بتوندير ما أصابه .. اننى لم انم بعد حادث ليفاسير .. وقد اشفقت ان ترحل لوسيان مع زوجها فينحى بها توندير .. ويفعل فى البحر مالا يجسر على فعله هنا فى (تورتوجا) ..

فقال الكابتن بلود بلهجة جافة :

ـ واذن فقد حرضت هذه الرجلين على الاقتتال من أجل العظمة .. لكى ينتهز الكلب الثالث هذه الفرصة ويختطف العظمة ويمضى ؟ !..

ان عملك ينطوى على المهارة اكثر مما ينطوى على الرزانة والصداقة يا مسيو دوجيرون ..

فقال دوجيرون فى حزن :

ـ هل أغضبك عملى يا كابتن ؟ لقد كانت مصلحة ابنتى نصب عينى .. ثم اننى كنت واثقا من النتيجة .. ومتأكدا من أن مسيو جيريمى العزيز سيجرع خصمه ..

فقال بلود :

ـ لقد كان من المحتمل جدا أن يفقد مسيو جيريمى العزيز حياته فى سبيل انجاح خطتك لتزويج ابنتك ..

وفى ذلك ما فيه من السخرية بغير شك .

وتابط ساعد جيريمى وقال :

ـ أرأيت المهاوى التى يخطرها الحب تحت قدمى الرجل يا جيريمى ؟ ! هلم بنا يا فتى .. طاب يومك يا مسيو دوجيرون .

وجر الفتى جرا ..

ولكنه كان يتميز غيظا وغضبا .. فتمهل عند الباب ، وقال محدثا الحاكم .. وعلى شفتيه ابتسامة شريرة

ـ هل تعلم لماذا لا أفعل من أجل صديقى هذا ما خفت أن يفعله توندير ؟ هل تعلم لماذا لا أنطلق فى اثر (البجعة) لاختطف الفتاة التى يريدها جيريمى زوجة له ؟ !

فصاح دوجيرون ، وقد أزعجه هذا الخاطر :

ـ يا الهى .. انك لن تفعل ذلك يا كابتن بلود ..

ـ نعم .. اننى لن افعل ذلك ، ولكن هل تعلم لماذا ؟

ـ لاننى اثق فيك ، ولانك رجل شريف .

ـ دع الشرف جانبا .. اننى قرصان .. ولكنى لا افعل ذلك .. لاننى لا أرى الفتاة جديرة بان تكون زوجة لصديقى ولقد قلت له ذلك من البداية ، وارجو أن يكون قد اقتنع الان .

وكان ذلك هو كل انتقامه من دوجيرون .. لدور الثعلب الذى قام به ..

وفى الطريق .. استحال ياس جيريمى الى غضب وسخط .. فضرب الارض بقدميه .. وقال انه لا يرضى ابدا بان يكون العوبة فى أيدى الاخرين ، وانه لابد ان ينتقم لما أصابه ..

وزأر وهو يحترق غضبا :

ـ أواه ٠٠ ليتني فقط اقابل دى ماركير اللعين ٠٠

فسأله بلود فى تهكم :

ـ وماذا تفعل به اذا قابلته ؟ ؟

ـ ماذا ؟ ؟ انني اقتله كما قتلت الكلب تونمير ٠

فوقف بلود فى مكانه وانفجر ضاحكا ٠

قال :

ـ يخيل الى انك اصبحت ابرع من حمل الحسام ٠

كلا ٠٠ كلا ٠٠ اظن ان الوقت قد حان لكى ابدد اوهامك قبل أن تورد نفسك موارد الهلكة ٠

فحملق جيريمى فى وجهه ٠ وهتف :

ـ تبدد أوهامى ؟ عن اى أوهام تتكلم ؟ الم اقتل تونمير أمس ؟

فاجاب بلود وهو لا يزال يضحك :

ـ كلا ٠٠ انك لم تقتله ٠

ـ لم اقتله ؟ ها ٠ ها ٠ ها ٠ من ذا الذى قتله اذن ؟

فاجاب بلود بلهجة جدية :

ـ انا الذى قتلته ٠٠ قتلته باشعة الشمس المنعكسة على قاعدة الشمعدان ٠٠ بهرت عينيه ربما تقتله ٠٠

فامتقع وجه جيريمى ٠ ولاحظ بلود ذلك فهمس :

ـ لولا ذلك لقتلك ٠

الفصل السادس

التـــكفير

جلس الكابتن بلود على مقعد وثير ٠٠ فى أفخر غرفة بالسفينة « استرامادورا » ٠٠ وراح يصغى الى الدون جوان دى لافلونيتى ٠٠ وهو يعزف على القيثار ٠ ويترنم

باغنيودة مستذلة ٠ كانت شائعة وقتئذ فى « ملقا » ٠

كان الدون جوان فى نحو الثلاثين من عمره ٠ وهو شاب رشيق ٠٠ له عينان سوداوان ساحرتان ٠٠ وشفتان حمراوان ٠٠ يعلوهما شاربان دقيقان ٠٠

وكان الناظر اليه ٠٠ وهو فى ثيابه الحريرية ٠٠ فى تلك الجلسة ٠٠ والقيثارة بين يديه ٠٠ وعيناه الساحرتان الحالمتان تسبحان فى الفضاء ٠٠ لا يكاد يصدق أن هذا الفتى الذى تدل حركاته وصوته ونظراته على التبذل والفجور ٠٠ هو قبطان السفينة الحربية الاسبانية « استرامادورا » ذات الاربعين مدفعا ٠

واصغى الكابتن بلود الى غنوة الشاب ٠٠ وعلى وجهه النبيل ابتسامة مبهمة ٠٠ عنى بان يخفى وراءها ضجره ، واستنكاره ٠

أصغى مكرها ٠٠ كما اكره على إرتداء الثوب الحريرى الذى قدمه اليه الدون جوان ٠

كان توجود الكابتن بلود فى تلك السفينة الحربية قصة ، وكان اجتماعه بالدون جوان وليد سلسلة عجيبة من المصادفات ارغمته على الابحار باحدى سفن اعدائه الاسبانيين ٠

ويجب أن نقول فى الحال ٠٠ ان الدون جوان كان ابعد من أن يتصور أن جليسه هو القرصان المزعج ٠٠ الكابتن بلود ٠

اما الحوادث التى القت بالكابتن بلود فى تلك السفينة فانها بدات قبل ذلك باسبوع ٠٠ وتتلخص فيما يلى :

كانت (ارابيلا) راسية فى ميناء (مرغريتا) حين علم بلود من احد اصدقائه الهنود الحمر أن بعض السفن الاسبانية تشتغل بصيد اللؤلؤ من خليج (كاريكاو) ٠٠

وانها جمعت من اللاليء محصولا ثمينا ٠

وصحت عزيمة بلود على تجريد السفن الاسبانية من لآلئها كما فعل فى (ريو دى لاهاش) فاختار أربعين من رجاله الاشداء ٠٠ وخرج بهم فى ثلاثة قوارب ٠٠ قاصدا الى خليج (كاريكاو) ٠

واقترب من الخليج فى الصباح ٠٠ واخطر ان ينتظر بالقرب من الشاطىء حتى يهبط الليل ٠ فينقض على صائدى اللاليء ٠

وانه يهم بانفاذ خطته ٠٠ اذا بسفينة لحراس الشواطىء تبرز فجأة من جوف الظلام ٠٠ وتصليهم نارا حامية ٠

ولاذ القراصنة بالفرار ٠٠ فطاردهم الحراس ٠٠ وحطموا قواربهم ٠

وغرق بعض القراصنة ٠٠ وقتل بعضهم ٠٠ ووقع البعض فى الاسر ٠

وتعلق بلود باحد القوارب المحطمة ٠٠ ومازال التيار يحمله ٠٠ والامواج تتقاذفه ٠٠ حتى بزغت الشمس ٠٠ والتقطته السفينة (سترا مادورا) ٠

وذعر بلود ، حين رأى الراية الاسبانية تخفق فوق السفينة ٠٠ ولكنه تشجع ٠٠ واعتمد على حظه السعيد ٠٠ وثيابه الممزقة ٠٠ فى اخفاء حقيقة شخصيته ٠٠

وسأل الدون جوان عن أمره ٠٠ فقال انه كان بحارا فى احدى السفن الهولندية ٠٠ وان السفينة تحطمت وهى فى طريقها الى « كيركاو » ٠

وساله عن اسمه ٠٠ فأجاب بانه هولندى ٠٠ ويدعى بيتر فاندرمير ٠٠ وان أباه كان هولنديا ٠٠ اما امه

فاسبانية ٠٠ وبذلك برر اجادته اللغة الاسبانية التى كان يتكلمها بطلاقة

ولم يجد مانعا من أن يقول أن امه تنتمى الى أسرة اسبانية عريقة ٠٠ هى أسرة الدون اركوس ٠٠

ورأى الدون جوان من نبل تقاطيعه ٠٠ واجادته اللغة الاسبانية ٠٠ دليلا على صدقة ٠٠ وسره أن يتقد من الغرق من ينتمى الى أسرة عريقة مشهورة ٠٠ كأسرة الدون اركوس ٠٠ ولذلك فقد رحب به ٠٠ واعاره بعض ثيابه ٠٠ وطلب بلود أن يتركه على شاطىء أول مستعمرة هولندية تصادفه ٠

وأعجب به الدون جوان ٠٠ وطابت له عشرته ٠٠ وتأكد له أن الدم الاسبانى الذى يجرى فى عروقه قد التهم الهولاندى الذى ورثه عن أبيه ٠٠ وأصر على تسميته الدون « بدرو » وهو الاسم الاسبانى الذى يقابل اسم « بيتر »

واطمأن بلود من ناحيته الى صداقة الدون جوان ، ولكنه لم يستطع أن يهضم تبذله ٠٠ والواقع ٠٠ انه لاحظ منذ اليوم الاول أن ذلك الغلاف الادمى النبيل يهضم نفسا حيوانية شديدة الاستهتار والفجور ولكنه كتم استنكاره ونفوره ٠٠ بحكم حرصه على سلامته ٠

وانقضت بضعة أيام ٠٠ توثقت فى خلالها بين الرجلين آصرة تشبه الصداقة ، فاعجب الدون جوان برجولة صبيه ، وسعة اطلاعه ، وحضور ذهنه ، وسرعة خاطره ، ومعرفته العميقة بشؤون الناس والحياة ، وفلسفته التى لاتخلو من السخرية والمرارة ، واعجب بلود من ناحيته بكرم مضيفه ، ودماثة خلقه ٠

وهكذا أصبح بلود الضيف المكرم ، فى السفينة التى

كان يجب أن يكون فيها العبد الذليل لو عرفت حقيقة أمره ·

وقرع الدون جوان من انشودته ، وخاف بلود أن يبدأ انشودة جديدة ، وقرر أن يستدرجه الى الحديث ليتخلص من هذه النكبة ، فقال :

– اكبر ظني اننا اقتربنا الان من جزائر (المارتنيك) ··

فاجاب الدون جوان :

– نعم ·· ولولا هبوط الريح لبلغنا اليها منذ يومين ··

فقال بلود :

– أنت لا تستطيع طبعا ان تقترب بي من شواطىء « المارتنيك » ؟

فاجاب الدون جوان :

– ذلك طبيعي ·· انت تعلم ان الحرب سجال الان بين اسبانيا وفرنسا ·· وليس في استطاعتنا الاقتراب من الجزائر الفرنسية ·

– هب انني استأذنتك في الرحيل ·· وانطلقت الى الشاطىء في أحد القوارب ·

فظهرت علامات الحزن على وجه الدون جوان وقال :

– ولماذا هذه الرغبة الملحة في الافتراق عنا · الم نتفق على أن أذهب بك الى (سان مارتان) ؟!

– هذا صحيح ·· ولكن عندما فكرت في الامر مليا · تذكرت أن السفن لا تمر بسان مارتان الا نادرا · وقد ينقضي وقت طويل قبل أن أجد سفينة تذهب بي الى (كيركاو) ·

أما في (المارتنيك) ··

فقاطعه الدون جون بحدة :

– كلا ·· كلا ·· ستستطيع أن تهبط الى الشاطىء في (ماريجالانت) لان لي عملا هناك · أو في (جواديلوب) اذا فضلت · ولكني لا اسمح لك بالرحيل الان · ·

وكان الكابتن بلود يهم أن يشعل غليونه · فتوقف · ونظر الى الدون جون في دهشة وسأل :

– تقول ان لديك عملا في (ماريجالانت) ؟!! أي عمل لك في الوقت الحاضر في هذه البلاد الفرنسية ؟!

فابتسم الدون جوان وقال :

– هل نسيت انني قبطان سفينة حربية ·· وانني رجل حرب ؟

– هل في نيتك الاغارة على « ماريجالانت » ؟

فلم يجب الدون جوان في الحال · وأخذ يعبث باوتار القيثار ·

ثم لمعت عيناه ·· وارتسمت على شفتيه ابتسامة تاسية ·

قال :

– ان حاكم (باستير) (عاصمة ماريجالانت) هو كلب يدعى كولفان وبيني وبين هذا الرجل حساب أريد تصفيته · حساب يرجع تاريخه الى عام مضى · ولكن ساعة الانتقام قد حانت أخيرا · وهذه الحرب هي خير فرصة انتهزها · وساخدم اسبانيا · وانتقم لنفسي بضربة واحدة ··

فاشعل بلود غليونه · وراح يدخن في هدوء ·

بدا له انه ليس من الاخلاص في خدمة اسبانيا أن يجازف الدون جوان بتلك السفينة العظيمة في اغارة

مشكوك فيها . على مستعمرة صغيرة مجهولة . كمستعمرة (ماريجالانت) .

قال :

ـ ستكون هذه تجربة جديدة بالنسبة الى .. فهذه اول مرة أجد فيها نفسى على سطح السفن أثناء القتال . وهى تجربة لن انساها بسهولة .. اللهم الا اذا اغرقتنا مدافع (ياستير)

فاغرق الدون جوان فى الضحك .

لم يكن عليه أى أثر من آثار الاضطراب أو الاهتمام وهو مشرف على القتال . بل انه على العكس . كان جذلا مسرورا . وتضاعف جذله وسروره حين اشتدت الريح فى تلك الليلة . وزادت سرعة السفينة .

وادرك الكابتن بلود من ذلك ومن الحديث الذى دار بين الفتيان الشاب وضباطه على مائدة الطعام . ان الحساب بين الدون جوان وحاكم « ماريجالانت » لا بد وان يكون ثقيلا .. فقد تحدث الضباط وتحدث الدون جوان عن ضروب البطش التى يضمرنها للمستعمرة الفرنسية اذا سقطت بين ايديهم .

وشعر الكابتن بلود بالعطف على سكان المستعمرة التعسة .

ذلك لانه رأى الشىء الكثير من فظاعات الاسبانيين فى غاراتهم ، تلك الفظاعات الثيرة التى اكسبتهم شهرة مقيتة فى العالم الجديد

ولكنه كان عاجزا عن أن يحرك انملة أو ينطق بكلمة .. واضطر أن يصغى الى احاديث القوم .. وان يشرب معهم نخب دماء المستعمرة الفرنسية .. وهلاك مسيو دى كولفان حاكمها .

وفى صباح اليوم التالى .. ارسل الكابتن بلود بصره .. فرأى فى الافق خطا طويلا .. قائما .. أدرك انه سلسلة الجبال الممتدة من شمال « ماريجالانت » الى جنوبها

ولكنه تجاهل ذلك . الى أن قال له الدون جوان .. وعلى شفتيه تلك الابتسامة القاسية .. ان السفينة تقترب من غايتها

وبدت الجزيرة تبرز من جوف المحيط بالتدريج .. وراح الدون جوان يصدر اوامره . استعدادا للمعركة

ولما اقتربت السفينة من الجزيرة واصبحت منها على بعد ثلاثة أميال .. ارسل الدون جوان بصره من خلال منظاره .. ثم قال انه لا يرى اية سفينة فى ميناء باستير . وانه لا ينتظر فى هذه الحالة اية مقاومة الا من قلعة الميناء .

ومزق السكون فى هذه اللحظة دوى اقهم الدون جوان ان فى القلعة قائدا يعرف واجباته .

واستمرت القلعة تطلق مدافعها .. والسفينة تقترب بسرعة .. ولا تقابلها بالمثل .. وهى خطة اعجب بها الكابتن بلود .. وان يكن قد كتم اعجابه .

ومازالت السفينة تتقدم .. غير حافلة بمدافع القلعة .. الى أن اصبحت منها على بعد نصف ميل .. ثم حولت مقدمتها نحو الشرق . وافرغت قنابل مدافعها الجانبية على القلعة .. ثم دارت حول نفسها ، وافرغت مدافع جانبها الثانى ، وابتعدت قليلا ريثما تحشو مدافعها مرة اخرى .

وعاد الدون جوان الى الهجوم .. وامر فى ذلك الوقت

بانزال القوارب .

وفى هذه الاثناء ، انقضت احدى القنابل على السفينة ، واحدثت بها بعض العطب ، ولكن الاصابة لم تكن خطرة ، ولم تمنعها من اطلاق قنابلها على القلعة للمرة الثانية .

وكان الدون جوان يقود السفينة والمعركة بحنكة وبراعة ، قاهر بحشو المدافع .. وفى ذات الوقت أمر بعض رجاله بالهبوط الى القوارب الاربعة .

وانطلقت القوارب نحو الشاطىء تحت حماية السفينة .. وتبعتها السفينة عن كثب .. وهى تطلق مدافعها لتأمين وصول الرجال الى الشاطىء .

وافرغت القوارب شحنتها من الرجال المسلحة . وعادت أدراجها الى السفينة لتنقل عدد آخر .. وفى هذه الاثناء كانت السفينة تصلى القلعة نارا حامية ، لتوقع فيها الاضطراب .. وتشغلها عن المغيرين الذين هبطوا على الشاطىء .

وكان الدون جوان ورجاله فى قواربهم فى منتصف الطريق الى الشاطىء .. حين صمتت مدافع القلعة

والى هذه اللحظة .. كان موقف الكابتن بلود هو موقف المتفرج الخبير .. فلم يغفل عن شىء من دقائق المعركة .. وعرف منذ البداية لمن سيكون النصر

ولما صمتت مدافع القلعة .. فكر فيما سيحدث بعد ذلك .. ومرت بجسده رعدة قوية .. حين تصور انواع الفظاعات التى سيقدم عليها المنتصرون تحت قيادة رجل فاجر كالدون جوان ..

كانت الحرب فى نظره هى الحرب بمعناها

الصحيح .. لا السطو على المدن الوادعة ، وقتل الامنين .. وانتهاك اعراض النساء ..

وكان الدون جوان قد طلب اليه ان يرافقه الى الشاطىء .. لكى يرى مالم يسبق له أن رآه .. ولكن بلود هز كتفيه وأجاب ببرود :

ـ ان جنسيتى تمنعنى من ذلك يادون جوان .. فانا هولندى .. وهولندا ليست فى حرب مع فرنسا

ـ كن اسبانيا ولو مرة واحدة يادون بدرو .. وتعال معنا الى الشاطىء .. وساهم معنا فيما سنتمتع به .. ولن يعلم أحد انك هولندى ..

فاجاب بلود :

ـ ولكنى أعلم .. والمسألة مسألة شرف ..

فضحك الدون جوان وقال :

ـ انك رجل كثير الوساوس ..

وبقى بلود على سطح السفينة .. وسمع بضع طلقات نارية ، ورأى النيران تشتعل فى اكثر من منزل واحد ، وتمنى لو أن معه مائة من رجاله ليبيد بهم هؤلاء الاسبانيين الاوغاد .

وعاد المنتصرون فى المساء ، والقليلون منهم معصوبو الرؤوس والسواعد ، والكثيرون تملون بنشوة الفوز والخمر ، وجميعهم محملون بالاسلاب والغنائم ..

وسمعهم بلود ، وهم يضحكون ، ويرسلون النكات الوقحة ، ويفخرون بما ارتكبوا من قساوة ، واحدثوا من تخريب وتدمير ..

سمعهم بلود ، ولم يذكر أن اية طغمة من القراصنة

ولصوص البحر ، قد ارتكبت معشار الفظاعات التى يفخر بها هؤلاء الجنود ..

وهكذا نجحت الحملة الى ابعد حدود النجاح ، ولم يفقد الاسبانيون سوى ستة رجال ، انتقموا لموتهم أهول انتقام ..

وعـــاد الدون جوان فى الغارب الاخير وصعد الى السفينة ، يتقدمه رجلان يحملان شيئا ثقيلا ، تبينه الكابتن بلود ، فاذا هو جسم امرأة .

ولم ير بلود من جسم المرأة غير شعرها ، ثم رأى ثوبها الحريرى ، وحذاءها الانيق ذا الكعب المرتفع ، وأدرك فى الحال انها تنتمى الى ارقى طبقة فى المدينة ..

وجفف الدون جوان العرق المتصبب على جبينه ، وصاح بالرجلين :

ـ انطلقا بها الى غرفتى ..

فاطاع الرجلان ..

وبصرف النظر عن سلوك الكابتن بلود حيال الرجال ، فانه لم يكن حيال النساء ، الا شهما نبيلا كريم الخلق ..

وقد شعر الآن بالدم يغلى فى عروقه ، حين رأى تلك المرأة التعسة تحمل الى غرفة القبطان ، ولو أنه طاوع شعوره فى تلك اللحظة لانقض على الدون جوان .

كان وجود هذه المرأة صريح الدلالة والمعنى ، فهى بغير شك الغنيمة التى احتفظ بها القائد لنفسه ..

وملك بلود نفسه ، وكظم غيظه ، ولكنه لم يحول عينيه عن غرفة الدون جوان .

وخرج الدون جوان من غرفته بعد لحظة ، ووقف

مترددا ، ثم أغلق الباب ودس المفتاح فى جيبه ، ولم يصدر من جوف الغرفة صوت أو حركة .

قال أحد الضباط وهو يضحك :

ـ حمدا لله ، انها كفت عن الصياح أخيرا .

فاجاب آخر :

ـ انها ثعبت من المقاومة .. ياالهى .. انها أشبه بالقطة البرية .. وسوف يمتلىء وجه الدون بالخدوش قبل أن يتمكن من ترويضها ..

واجتمع الدون جوان بضباطه حول مائدة الطعام ،

قال وهو يبتسم :

ـ أرجو أن نفرغ من الطعام باسرع ما يمكن .

فهقه الضباط ضاحكين ، وتبادلوا بضـــع نكات محورها المرأة التعسة .

وانتهز الكابتن بلود فرصة السرور والشامل ، وسأل

ـ والكولونل دى كولفان ، حاكم ماريجالانت !!

فاجهم وجه الدون جوان ، وأجاب :

ـ لعنة لله عليه .. انني لم أجده فى « باستير » .. فقد سافر الى « لاكارم » لتنظيم الدفاع عنها

فرفع بلود حاجبيه .. وقال بقلة اكتراث :

ـ اذن فلم يتم لك تصفية الحساب .. رغم الجهود الباسلة التى بذلتها ..

ـ نعم .. نعم ..

فقال أحد الضباط وهو يضحك :

ـ سوف تؤدى مدام دى كولفان الحساب كاملا ٠

فهتف بلود فى دهشة :

ـ مدام دى كولفان ؟

ورأى العيون تنظر نحو غرفة الدون جوان ٠٠ ففهم ٠٠ وهتف :

ـ آه ٠٠

ثم ضحك وأردف على الاثر :

ـ هذا فى الحق انتقام فنى يادون جوان ٠

وضحك مرة أخرى ٠٠ رغم السعير الذى يتأجج فى أعماقه

وهز الدون جوان كتفيه ٠ وتنهد وقال :

ـ ولكنى كنت أود أن أقابل الرجل لاصفى الحساب تصفية تامة ٠

فقال بلود :

ـ اذا كنت تمقت الرجل حقا ٠٠ ففكر فى العذاب الدائم الذى جلبته عليه ٠٠

لاشك ان الموت ليس شيئا مذكورا بالقياس الى عذابه

فقال الدون جوان باختصار :

ـ ربما ٠٠ ربما ٠٠ الى بقدح خمر ٠٠ ياالهى ٠٠ ما أشد ظمأى ٠٠

وازدرد محتويات القدح دفعة واحدة ٠٠ وحذا بلود حذوه ٠٠

وملئت الاقداح مرة أخرى ٠٠ وشرب بلود نخب صديقه

الاسبانى ٠٠ قائلا انه وان يكن قليل الخبرة والتجربة فيما يتعلق بالمعارك البحرية الا أنه واثق من انه لايوجد قائد على ظهر الحياة يستطيع تنظيم هجومه كما فعل الدون جوان فى ذلك اليوم ٠

فشكره الدون جوان وعلى شفتيه ابتسامة ٠

وملئت الاقداح مرة أخرى ٠٠ وتجاذب الضباط أطراف الحديث ٠ وانصرف الكابتن بلود الى التفكير ٠

تذكر فى أنه متى رفعت المائدة ٠٠ فسيرسل الدون جوان ضباطه الى مراقدهم فى جوف السفينة ٠

ولكن هل يسمح له هو بالرقاد فى غرفته ٠٠ لسبق غرفة القبطان ؟ أم يطلب اليه اخلاء سطح السفينة ٠٠ والبحث عن مرقد آخر فى جوفها ؟

هنا الخطر ٠

ورفع بلود رأسه ٠٠ واشترك فى الحديث ثم طلب المزيد من الخمر ٠٠ وعاد على الثناء على الدون جوان واطراء براعته ٠٠ ولاحظ عليه القوم انه يتلعثم ، وان لسانه يتعثر فى فمه ٠ فضحكوا وأدركوا أن الخمر فعلت به فعلها ٠

وضايقته ضحكاتهم الساخرة ٠٠ وأدرك مغزاها ٠٠ فراح يؤكد لهم أن الخمر لا تفقده وعيه قط ٠٠ ولا تثقل لسانه ، واستشهد بالدون جوان على صدقة ولكنه كان يتكلم بلسان يزداد ثقلا وتلعثما ٠٠ فضج القوم بالضحك ٠

واخيرا ثقل جفناه ٠٠ وسقط رأسه ٠٠ وانحدر جسمه ٠٠ واستقر أخيرا على أرض الغرفة ٠

وبعد بضع دقائق .. نهض الدون جوان فجأة .. وقال بنهجة الأمر :

ـ احملوا هذا الاحمق الى غرفته .. ثم اذهبوا الى مراقدكم .. هلموا ..

وحمل الكابتن بلود الى غرفته وسط السخرية

وبقي الدون جوان وحده في قاعة الطعام .. فتناول قدح الخمر .. وتأمله طويلا .. ثم رفعه الى شفتيه

وانصرف الى غرفته .. وهو يسير على مهل .. وأخرج المفتاح من جيبه .. ووضعه في ثقب الباب .. وأداره

وفي هذه اللحظة .. سمع حركة وراءه .. فنظر خلفه .. ورأى ضيفه الثمل مستندا الى باب غرفته ، وهو مهدل الثياب ، وجسمه الطويل يترنح مع حركة السفينة ، ويوشك في كل لحظة أن يسقط

سأل الكابتن بلود بصوت خافت :

ـ كم .. كم الساعة الآن ..

فابتسم الدون جوان .. وانما بشيء من الضجر ..

قال بلود بلسان متلعثم :

ـ انا .. انا لا أذكر .. يالشيطان .. ما أشد ظمأي ..

فصاح الدون جوان :

ـ عد الى فراشك أيها الاحمق ..

ـ طبعا .. طبعا .. ولكن .. اريد قدحا آخر ..

واندفع نحو غرفة الطعام .. وارتطم ببابها ودخل ..

وتبعه الدون جوان .. ووقف يرقبه .. وفي عينيه نظرة احتقار وتسلية ..

وتناول بلود قدحا ثقيلا من المعدن المنقوش بالفضة .. وملأه بالخمر .. وازدرده ..

وكان الدون جوان لايزال يرقبه ، ولعله لاحظ النظرة الفولاذية التي ومضت في عينيه فجأة ..

وبأسرع من لمح البصر ، رفع الكابتن بلود الكاس في يده ، وقذفها بكل قوته ، فاصابت جبهة الدون جوان ، وسقط الشاب فاقد الرشد ..

وجثا بلود بجانب الفتى ، وقد زالت عن وجهه آثار التبلد والسكر ، فرأى خيطا من الدم يسيل من جبهته ، ويتحدر بين عينيه ..

ولم يشعر بلود بالشفقة أو الندم ..

اذا كان في عمله شيء من النذالة فهذه النذالة ليس مصدرها خوفه على نفسه ، وانما مصدرها الخوف على امرأة الضعيفة التعسة التي انتزعها الدون جوان من احضان زوجها ..

حمل الدون جوان بين ساعديه ، وخرج به من الغرفة ، ووقف امام حاجز السفينة ..

وبعد ان اجال نظرة سريعة ، ترك جسم القبطان الشاب ينحدر فوق الحاجز ، ويهوي الى الماء ..

وكان بلود لايزال منحنيا فوق الحاجز ، وعيناه لاتتحولان عن امواج البحر حين سمع صوتا اخرجه من ذهوله ..

رفع رأسه ، وهم بأن ينظر وراءه ، ثم أمسك في

اللحظة الاخيرة وظل جامدا في مكانه ..

ذلك لان الصوت كان صوت امرأة ..

كان صوتا يفيض رقة وعنوبة واغراء ..

قالت المرة بالفرنسية :

ـ جوان .. جوان .. ماذا تفعل هناك ؟ انني انتظرك بفارغ الصبر .. جوان !!

ولم يتحرك من مكانه .

كان يريد ان يعرف المزيد . ليقطع الشك باليقين .

قالت المرأة بالحاح :

ـ جوان !! لاتسمعني !! جوان !؟

فدار على عقبيه . ورآها واقفة بالباب . صبية طويلة . جميلة تستر بدنها الساحر بغلالة رقيقة .

كان يتصورها مشدودة الوثاق . مهددة في احد الاركان . خائفة يائسة باكية . وبتأثير هذا الوهم . وبدافع النخوة والرجولة قد فعلها فعل وقتل الرجل الذى ظن انه سباها .

ولكن هاهو يراها . حرة طليقة . فهي لم تسبأ باختيارها ورضاها فحسب . ولكنها كذلك تدعو الدون جوان بالبهجة التى تدعو بها المرأة عشيقها .

ذعر ..

ذعر من نفسه . ومن الغلطة المجرمة التى تورط فيها بحماسته وغيرته وحرصه على نجدة الضعيف ..

ثم تقهقر في اعماقه ذعر آخر اشد واهول .. ذعر من هذه المرأة بعد أن تكشفت على حقيقتها .

وان لم تكن الحملة الخفيفة التى شنها الدون جوان على « باستير » الا وسيلة لستر فرار هذه المرأة من زوجها الى احضان عشيقها ؟!

وان لم يكن صراخها ومقاومتها . وحملها عنوة الى غرفة الدون جوان الا احد فصول المهزلة التى مثلت على مسرح من الدماء والحيران واحداث الاثلى .

ومن أجل هذه المرأة التى خاضت في الدماء والاشلاء وصارت على حطام احياء البشرية لاشباع شهوتها . قد لوث هو يديه وارتكب جريمة قتل .

ارتجف وهو ينظر اليها .

اما هى فقد تبينت تقاسيم وجهه .. وادركت انه ليس الدون جوان .. فذعرت وانكمشت .. وجمعت الغلالة الرقيقة حول صدرها الجميل ..

سألت في دهشة :

ـ من انت ؟ واين الدون جوان ؟

واقترب منها . ورأت في وجهه ما احال دهشتها الى هلع .

سألها بالفرنسية :

ـ هل انت مدام كولفان ؟

لم يشأ أن يتورط في خطأ آخر .

اجابت :

ـ نعم .. نعم ..

ثم اردفت في ضجر .. والخوف لايزال يطل من عينيها :

ـ ولكن من انت ؟ ولماذا تسالنى ؟ واين الدون جوان ؟
وضربت الارض بقدمها ٠
وكان يعلم ان طريق الصدق هو اقصر الطرق ٠ فسلك اليه ٠

قال وهو يشير الى البحر :
ـ انني القيته فى الماء ٠

فحملقت ٠٠ وحملقت ٠٠ فى وجه هذا الرجل الهادىء البارد ٠ وشعرت بانها لا تستطيع الارتياب فى كلامه العجيب ٠

افلتت من بين شفتيها صيحة ذعر ٠٠ ولكنه لم ينفعل ٠٠ ولم يتاثر وعاد الى الكلام فاصغت اليه ٠ وقد اذهلتها عيناه اللامعتان اللتان تشبهان نقطتين من الفولاذ ٠

قال :

ـ لعلك تحسبيننى احد رجال جوان ٠ ولعلك تتوهمين انني اشتهيت الغنيمة النبيلة التى غنمها اليوم من ـ باستير ـ فقتلته لاستاثر انني انخدعت بمهزلة الاختطاف كما انخدع الاخرون ٠ وحسبتك ضحية بريئة تعيسة لرجل اعهد فيه الخيانة والغدر ٠ والتذلل فاخذتنى الشفقة بك ٠ وقتلته لانقذك من المصير الذى يتظرك على يديه ٠

ولكنى ارى الان ٠٠

وهنا ارتسمت على شفتيه ابتسامة مريرة واستطرد ،
ـ ولكنى ارى الان انك لم تكونى بحاجة الى الانقاذ ٠

وان مروانى قد اضررت بك اكثر مما اضرت به ٠
وذلك من سخرية الاقدار حقا ٠٠
وتريحت فى مكانها ٠٠ واستحال وجهها الى لون الرماد ٠
ـ انت قتلته ٠٠ انت قتلته ٠٠ انت قاتلته يا الهى ٠ انت قتلت جوان ٠٠

ورددت هذه الكلمات بلهجة آلية كانها تريد ان ترغم عقلها على فهم معناها ٠

وفهمت ٠٠ وصاحت وهى ترتجف :
ـ ايها الوحش ٠٠ ايها القاتل ٠٠ يجب ان تكفر عن جريمتك ٠٠ صارخ ٠ واوقظ الحارة جميعا ٠
فانقض عليها ٠٠

ودافعت المراة عن نفسها ٠ ودفاع القطة البرية ٠٠ وصاحت مستغيثة ولكنه تغلب عليها ٠٠ وقذف بها الى غرفة الحيطان ٠٠ وأغلق الباب ٠

وسقطت المراة على ارض الغرفة ٠٠ ولم تكف عن الصراخ ٠

ونظر اليها (بلود) فى برود وقال :
ـ اصرخى ٠٠ اصرخى ٠٠ يابنية فالصراخ يفيدك ٠
ولا يضرنى ان رنتك بحاجة الى الحركة ٠

وجلس فى انتظار ان ينهكها التعب ٠٠ ولكن كلماته اسكتتها ٠٠ ونظرت اليه وفى عينيها سؤال ٠٠ فابتسم واجاب :
ـ ان احدا فى هذه السفينة لن يحرك ساكنا لنجدتك

انك لاتعرفين طرار الرجال الذين يعملون تحت امرة الدون جوان ·

ولاحظ من جمودها · انها فهمت

قال :

ـ نعم ياسيدتى ·· هذا هو الموقف على حقيقته ومن الخير لك ان تعالجيه فى هدوء وسكينة ·

فنهضت واقفة · وقالت وهى تميز غيظا وحنقا :

ـ اذا لم يسمعوا استغاثتى الليلة ·· فانهم سيسمعونها غدا ·والويل لك متى سمعوها ·

ـ وانت ·· الا تخافين شرهم ؟

ـ انا ؟ اننى لم اقتل الدون جوان ·

ـ لن يتهمك احد بقتله ·· ولكنك فقدت بموته الشخص الوحيد الذى يستطيع حمايتك فى هذه السفينة والا فحدثينى ·· ماذا تظنين ان سيكون مصيرك على ايدهم ·· وانت اسيرة حرب ·· لاناصر لك ولا معين

فضغطت صدرها بيدها وهتفت فى رعب ،

ـ يا الهى ··

فقال لها باحتقار :

ـ هدئى من روعك ياسيدتى ·· فانني لم انقذك من ذئب ·· لالقى بك وسط قطيع من الذئاب · كلا ·· اننى لن افعل ذلك ·· اللهم الا اذا فضلت البقاء هنا ·· على العودة الى زوجك ·

فصاحت :

ـ الى زوجى ؟؟ آه ·· كلا ·· هذا مستحيل ، هذا

مستحيل

ـ لك ان تختارى بين زوجك ·· وهذا القطيع من الذئاب ·· لامناص من ذلك ·

فسالته فجاة ،

ـ من انت ايها الشيطان المريد ·· ولماذا تعذبنى بعد ان هدمتنى

ـ اننى منقذك ··لاهداءك ·

ساترك لزوجك ـ رحمته ـ ان يعتقد بانك اختطفت قهرا وقسرا و سيكون لك من حنانه وعطفه مايعوضك عن فقد عشيقك ·

فضحكت ساخرة وقالت :

ـ الحنان !! لو عرف زوجى معنى الحنان لما وجدتنى هنا الان ·

ثم راحت تبرر موقفها ·· قالت :

ـ اننى اقترنت بحيوان بليدقاسى القلب ، هو مسيو دى كولفان وقدبدد هذا النعس كل ثروته ، واضطر آخر الامر ان يقبل المنصب الذى اسند اليه فى هذه المستعمرة المتوحشة ، وارغمنى على مرافقته ·

انك تظن بى الظنون ، وتحسبنى امراة مستهترة متبذلة ، ولكنك ستعرف الحقيقية بحذافيرها ··

حدث بعد بضعة شهور من زواجنا ، ان جاء الدون جوان لزيارتنا فى ، باو ، حيث كنا نقيم ، فاحببنى من النظرة الاولى كما احببته،وشعرت بشقائى كما شعربه كل انسان اتصل بنا ، وعرض على ان افر معه الى اسبانيا ، وليتنى وافقت وفتنذ ووضعت حدا للامى ··

ولكنى كنت حمقاء ، وكنت شديدة الحرص على واجباتى الزوجية فرفضت ، وطردته ..

وزاد شقائى بعدذلك ، وتضاعفت آلامى ، ولما جاءتنى منه اخيرا رسالة يعبر فيها عن حبه واخلاصه ووفائه ، ويقول فيها ان قلبه النبيل لم ينس ، كتبت اليه بدافع اليأس والشقاء ، وطلبت اليه ان يسرع لانقاذى ..

وصمتت لحظة ، ونظرت الى الكابتن بلود بعينين حزينتين ، تترقرق فيهما الدموع ، ثم ازدفت ،

— ارأيت يا سيدى ماذا فعلت ، وراية كارثة جلبت على ؟

فانبسطت اسارير بلود قليلا ، وقال بصوت لايخلو من الرقة :

— حقا ، الكارثة لاوجود لها الا فى ذهنك ياسيدتى ، ومما طلبته انت انتقالا من الجحيم الى الجنة ، لم يكن فى الواقع الا انتقالا من جحيم الى جحيم اشد هولا .

انك لم تعرفى الدون جوان على حقيقته وانما غرك مظهره الخادع وهو مظهر براق يستر نفسا فاجرة ، وقلبا من الصخر .

— هل تحاول تبرير موقفك او موقفى بهم الرجل الذى قتلته ؟!

— دمه ؟! كلا ياسيدتى ، ان دليلى فى يدى ، انك كنت اليوم فى (باستور) .. ولابد ان يكون قد اتصل بك نبأ الدماء التى اريقت .. والاعراض التى تمت ، والبيوت التى فوضت ..

فقاطعته ،

— كل هذا من مستلزمات الحرب .

فصاح :

— من مستلزمات الحرب ؟ بالله لاتخدعى نفسك ياسيدتى ، وانظرى الى الحقيقة بشجاعة ..

ماتمنية (ماريجالانت) فى نظر اسبانيا ؟

لقد استولى عليها الدون جوان ، ولكن هل احتفظ بها ؟

انه توسل بالحرب لاشباع شهوته ، واطلق رجاله كالوحوش على بلد امن ، لا لشىء ، الا انك دعوته ، فلبى دعوتك ، ولولاك ، ولولا عشيقك الاثيمكان قتلى اليوم من رجال ونساء ينعمون فى بيوتهم ، بين اولادهم وذويهم لولاك .. ولولا ..

ولكنها قاطعته ، بان دفنت وجهها بين يديها كانما لتحجب عن عينيها منظر لاتقوى على رؤيته ، وصاحت :

— كفى .. كفى .. لا اريد ان اسمع ، لا اطيق ان اسمع ، كل هذا كذلك ، كذب .. انت تقلب الحقائق لتبرير فعلتك الاثيمة .

فنظر اليها ببرود .. وقال ببطء :

— ان المرأة لاتصدق الا مايروقها ان تصدقه ، ولكنى واثق من انتى لم اقلب الحقائق ، ويسرنى ان يبدأ منذ الآن تكفيرك عن المجزرة التى لعبت فيها الدور الاول ، ولك ان تختارى نوع هذا التكفير ، لك ان تختارى بين البقاء هنا ، والعودة معى الى زوجك .

فنظرت اليه ، وفى عينيها دمعة ، وفى صدرها زوبعة وراحت تتوسل اليه ، فاصغى قليلا ، ثم قاطعها بقوله :

ـ انا لا اسيطر على مصيرك باسيدتى ، ولكنى ارشدك الى سبيلين لا اكثر لهما ثالثا ، وذلك ولك مطلق الحرية فى ان تختارى منهما السبيل الذى يروقك ·

فسألته فى الحال ·

ـ ولكن كيف ·· كيف تستطيع العودة بى الى (باستير)؟ ·

فاوضح لها خطته ·· ولم ينتظر موافقتها ·· لانها لاتملك الا الموافقة ·· واسرع فى اعداد العدة · فحزم بعض المؤن · وانزل احد القوارب الى الماء · وشده الى السفينة بحبل ·· ثم حمل عدام دى كولفان على كتفه ·· وتعلق بالحبل ·· واخذ يهبط ·

ووضع المرأة فى مقدمة القارب ·· ثم تناول خنجرا ·· وقطع الحبل الذى يشد القارب الى السفينة ·

وابتعدت السفينة ·· واضطرب القارب حتى اوشكت الامواج ان تبتلعه ·· وقل اضطرابه شيئا فشيئا ·· ثم اعتدل ·

ورفع الكابتن بلود عينيه الى السماء · ليسترشد بالنجوم فى تسيير القارب ·· ثم تناول المجاديف ·

وتبعت المرأة فى مؤخرة القارب · وراحت تبكى فى هدوء ··

الفصل السابع

شكر مسيو دى كولفان

وظل القارب طوال الليل ، يشق طريقه فى البحر

الهادى ، والكابتن بلود يجدف باستمرار ، والمرأة مهدئة بالقرب منه ، تشكو تارة ، وتبكى تارة اخرى ، وتتنهد طول الوقت ، ولا تنطق بكلمة واحدة على سبيل الشكر وعرفان الجميل ··

ولكن بلود كان رجلا واسع الصدر قد عركته التجارب ·· ثم انه لم يكن ينتظر شكرا على عمل اقدم عليه بوحى ضميره ··

يضاف الى ذلك ان ظروف المرأة كانت فى الواقع دقيقة وشاذة ··

واذا صح كل ماقالته عن نفسها وعن حياتها ، فليس للانسان ولا للقدر ان يسألها شكرا ·

ولم تدهشه مجموعة الاحساسات المتناقضة التى تعتمل فى اعماقها ··· وعرف مصدر الكراهة التى كانت ترن فى صوتها وهى تتحدث اليه فى الظلام ·· والتى رآها فى نظرتها اليه عندما بزغ الفجر ··

ولما اشرقت الشمس ·· كان القارب قد اصبح على بعد ميلين من الشاطىء ·· ورأى بلود سلسلة الجبال الممتدة وسط (ماريجالانتت) ثم رأى سفينة ضخمة تقترب ببطء من ميناء (باستير) ·· وادرك من هيكل السفينة ولونها ·· وبطء حركتها ·· انها سفينة انجليزية ·· قد جاس بها قبطانها الى هذا الميناء لاول مرة ·

وكانت مدام كولفان قد استغرقت فيما يشبه الغيبوبة ، ولكنها ما لبثت ان افاقت من ذهولها ·· وفتحت عينيها ·· وحملقت بهما نحو السفينة التى تتهادى فى الطريق الى مدخل الميناء ··

قال بلود ،

ـ لاضرورة لتخوف ياسيدتى فهذه السفينة ليست اسبانية ٠

فنظرت اليه بعينين قد ذهب الارق والبكاء ببريقهما ، واجابت :

ـ الخوف ؟! وماذا اخاف اكثر من المصير الذى تسوقنى اليه ٠

وكانت فى صوتها رنة مرارة ٠ وكراهة ٠

قال ٠

ـ انا ياسيدتى ؟! انا اسوقك الى مصيرك ؟! كلا ٠٠ كلا ٠٠ انك مسوقةبماجنت يداك ٠٠ ومسوقة الى المصير الذى وقع عليه اختيارك ٠

فقاطعته بحدة :

ـ هل انا الذى اخترت ان اعود الى زوجى ؟!

فتنهد الكابتن بلود فى ضجر وقال :

ـ هل من الضرورى ان نعود الى هذا الجدل فى كل لحظة ؟! وهل يجب ان اذكرك دائما بانك التى رفضت الحل الآخر ٠ وهو البقاء فى تلك السفينة تحت رحمة الجنود الاسبانية ٠

اما زوجك ٠٠ فانني واثق انه مايعتقد انك اختطفت على الرغم منك ٠

ـ لولاك انت ايها القاتل الاثيم ٠٠

ـ فقاطعها ،

ـ لولاى لكان مصيرك اسوا الف مرة من المصير الذى ينتظرك ٠

ـ لايوجد اسوا من المصير الذى ينتظرنى ٠٠ لايوجد اسوا منه ٠ هل سمعت ٠٠ ان الزوج الذى جاء بى الى هذه الاصقاع الوحشية ٠ لانه مفلس ومثقل بالديون ٠ ولا يستطيع الاقامةفى ارض الوطن هذا الرجل ٠٠ ولكن لماذا أتحدث اليك ؟ ٠٠ لماذا اتحدث الى انسان يرفض باصرار أن يفهمنى ٠٠ انسان يلوم ٠٠ ولا يعذر ٠٠

ـ اننى لا الومك ياسيدتى ٠ وانما اثرت لك ان تلومى نفسك على الاهوال التى جلبتها على (باستير) ٠٠ ولكنك تستطيعين ان تتعمى بالاوتطمئنى نفسا ٠٠ اذا نظرت الى المصير الذى ينتظرك على اعتبار انه نوع من التكفير ٠٠

قرنت فى سخرية ٠٠

ـ انعم بالا ٠٠ واطمئن نفسا ؟!

فقال متفلسفا :

ـ ان التفكير يطهر الضمير ٠٠ ويدخل الطمأنينة على النفس المعذبة ٠

ـ انك تعف بأشياء لاتفهمها ٠٠ فانني لم افعل مايستوجب التكفيرنعم ٠٠ انني لم ارتكب خطيئة تستحق هذا المصير ٠٠

كنت امرأة تعسة يائسة بين يدى وحش عربيد قاسى القلب لايقيم وزنا للشرف ٠٠ فانتهزت اول فرصة لانقاذ نفسى من العطب ٠٠

ولكن هل كنت اعلم عن الدون جوان ماتنسبه اليه ؟! وهل أعلم ذلك الآن ؟!

ـ تعلمين ذلك الآن ؟! الم يقع بصرك على الخراب الذى جلبه على باستير ٠٠ وعلى الفظاعات التى ارتكبها

فيها ؟!

أتسألني عن خطيئتك وقد رأيت المجزرة البشرية التي أحدثت خصيصا لوضعك بين ساعدي عشيقك ؟!

هذه المجزرة ياسيدتي ·· هي الخطيئة التي تتطلب التكفير ··

أما ما بينك وبين اللون جوان فانه لاقيمة له ولا وزن

ولكن عقلها رفض الاحاطة بهذه الحقائق ورفض أن يهضمها ·· فراحت تدافع عن نفسها ، ولكنه صم أذنيه عن صوتها ، ومازال يجدف حتى انتهى بالقارب الى الشاطىء ··

دار بهما خليط عجيب من البيض والزنوج ·· بين رجال ونساء لايزال على وجوههم طابع الخوف الذي تركته حملة اليوم السابق ونظروا جميعا في دهشة وعجب الى مدام دي كولفان زوجة الحاكم ·· وال الرجل الطويل الرزين الذي يرافقها · وشكروا الله بصوت مرتفع على هذه المعجزة ·· ولم يدر بخلد احدهم ان هذه المرأة التي يرحبون بنجاتها هي علة الكوارث التي نزلت بهم ·

ونظر بلود بعينين حزينتين الى الجراح التي تركتها معركة الامس في جسم المدينة الامنة ·· فالابواب والنوافذ محطمة ·· والحوانيت منهوبة ·· وبعض المنازل قد استحالت الى أكوام من الرماد ·· والعشرات من الناس يشتغلون بحفر القبور لدفن قتلاهم ·

وشق طريقه الى بيت الحاكم بارشاد المرأة التي ترافقه فوجد البيت قائما على تل مرتفع ·· وحوله حديقة

مترامية الاطراف ، نامية الاعشاب ، متعانقة الاشجار ، أقرب الى الادغال منها الى الحدائق ·

ولم ير في البيت والحديقة اثرا للعبث والتخريب ·· ولاشك أن الغزاة الاسبانيين لم يفعلوا هناك أكثر من أنهم اختطفوا زوجة الحاكم وولوا الادبار ·

وصادفهما في احد ممرات الحديقة زنجي متقدم في السن ، ماكاد يرى سيدته حتى أفلتت من فمه صيحة دهشة وعجب ·· وتناول يدها ورفعها الى شفتيه وهو يضحك ويبكي في وقت واحد ·

قال بلود للمرأة وقد انفرد بها في قاعة الطعام :

– يخيل الي أنك محبوبة هنا ياسيدتي ··

فأجابت :

– لاشك أن هذا يدهشك ·

وفجأة فتح باب يوصل بين قاعة الطعام وقاعة مجاورة لها ·· وبرز منه رجل طويل القامة ضخم الجسم · غائر الصدغين ·· بارز الفك · يرتدي ثوبا عسكريا موشى بالذهب والفضة ·

وفتح الرجل عينيه في دهشة حين أبصر بالمرأة ·· ثم امتقع وجهه في الحال وهتف :

– أنطوانيت ·· أنت هنا ··

وسار اليها وهو يترنح ·· والقى يديه على كتفيها ·· وأرتجف وهو يحملق في وجهها :

– أحقا أنك أنت ؟! لقد قالوا لي · ولكن أين كنت منذ الامس ··

فقلبت شفتها وأجابت :

ـ كنت حيث أنباؤك . ومن حسن الحظ .. أو من سوء الحظ أن هذا السيد انقذني . وجاء بي سالمة .

فتجهم وجهه ورد :

ـ من حسن الحظ .. أو من سوء الحظ !!

ورمقها بنظرة صريحة الدلالة على المقت والكراهية .. ورفع يديه عن كتفيها . وتحول الى الكابتن بلود وراح يتأمله .

قال :

ـ هذا السيد !! انه اسباني .. أليس كذلك ؟ !

وتجعد جبينه ..

قال بلود وهو يبتسم :

ـ كلا .. انني هولندي .

وقص قصته .

قال :

ـ من حسن الحظ انني كنت على ظهر السفينة (استرمادورا) ..

فقد التقطتني هذه السفينة منذ بضعة ايام . وقربتني قبطانها اليه .. ولكن حين سمعت صياح زوجتك .. واستغاثتها . اقتحمت غرفته وقتلته بيدي .

ثم وصف رحله بالقارب .

وأصغى اليه دي كولفان في دهشة . ثم لزم الصمت ..

وشعر بلود بانه امام رجل بليد بطيء الفهم .. غليظ

القلب .. يحق لاية امرأة أن تهجره .

ولم ينطق الكولونل دي كولفان بكلمة واحدة تعبر عن عطفه على زوجته . او ارتياحه الى نجاتها . ولكنه بالغ في وصف كارثة الامس . ومبلغ تأثره لها . ولاحظ بلود من حديثه . انه غير مشفق على أهل (باستير) بقدر مايشفق على نفسه وعلى مستقبله متى ناقشته الحكومة الفرنسية الحساب . ولمحت عليه تهاونه في تحصين الميناء .

وكان لايزال يستعرض همومه ومتاعبه .. حين قاطعته زوجته . ونفتته الى واجب تحتمه المجاملة على الاقل .

قالت :

ـ انك لم تشكر بعد هذا السيد على شجاعته . وخدماته لنا ؟ !

كانت عبارة .. ذات حدين . وقد شعر بلود بما فيها من سخرية .. واشفق على المرأة . ووجد مايبرر بأسها ورغبتها في التخلص من ذلك الزوج الجامد المتبلد .

وعبر دي كولفان عن شكره .

واستأذنت المرأة . واعتذرت بالتعب . وانصرفت الى مخدعها بين وصيفتين زنجيتين تبعتاها كما يتبع الكلب الامين سيده .

وشيعها دي كولفان ببصره حتى اختفت .. ولم يحول عينيه عن الباب ، حتى أخرجه بلود من جموده .

قال الكابتن بلود :

ـ اذا قدمت الى شيئا من الطعام .. اعتبرت ذلك

شكرا عمليا جديرا بالتقدير ·

فصاح دى كولفان :

ـ ياللشيطان ·· ماشد احمالى ، لقد ألهتنى متاعبى ، وتدمير المدينة · واختطاف زوجتى ، عن هذا الواجب الطبيعى ، كل هذه كوارث تكفى لهدم أى انسان ، فمعذرة ياسيدى ، ولكنى لم أتشرف بعد بمعرفة اسمك ·

ـ اسمى فاندرمير ·· بيتر فاندرمير ·

وفى هذه اللحظة قال قائل بالفرنسية ·· برطانة انجليزية :

ـ هل أنت واثق من أن هذا هو اسمك الحقيقى ؟ !

فدار بلود على عقبيه · ورأى بالباب الذى دخل منه كولفان ، شابا برتدى ثوبا عسكريا موشى بالذهب والفضة ·

وعرف بلود فى هذا الشاب صديقه ·· بل غريمه القديم ، الكابتن ماكارتى ، الذى رآه لاول مرة فى (انتيجوا) منذ بضعة شهور ·

ولكن الدهشة المؤقتة التى استولت على بلود من ظهور ماكارتى الفجائى ، تبددت فى الحال حين تذكر السفينة الانجليزية التى رآها تدخل الميناء ·

قال ماكارتى وعلى شفتيه ابتسامة بطيئة :

ـ طاب يومك ياكابتن بلود ·· انى لارى فى اعقابك الان قراصنة ، واسبانيول ومدافع تستطيع أن تهددنا بها ·

كانت هذه العبارة صريحة الدلالة على نواياه ·· فانثنى بلود بحركة غريزية ، وامتدت يده الى جانبه الايسر ·

ولكن ابتسامة ماكارتى استحالت الى ضحكة ·

قال :

ـ بل ولا أرى معك حساما ايضا ياكابتن بلود ·

فاجاب بلود :

ـ لاشك أن عدم وجود حسامى هو مايشجعك على هذه القحة ·

وهنا تكلم دى كولفان فهتف :

ـ الكابتن بلود ؟ تقول انه الكابتن بلود ؟ لاشك انك لاتعنى ذلك القرصان المشهور ·

ـ انه بعينه ·· القرصان المشهور ·· وحاكم (جمايكا) السابق ·· والسجين الهارب الذى تدفع الحكومة الانجليزية ألفا من الجنيهات مكافأة لمن يأتيها برأسه ·

فهتف دى كولفان :

ـ ألفا من الجنيهات ! ؟

وحبس أنفاسه ·· وتألقت عيناه ·

ثم تحول الى منقذ زوجته وسأل :

ـ أحقا هذا ياسيدى ؟

فهز بلود كتفيه وأجاب :

ـ طبعا ·· ومن غير الكابتن بلود يستطيع أن يفعل ماقلت لك أننى فعلته أمس ؟

فحملق دى كولفان فى وجهه بمزيد من الدهشة وسأل

ـ واستطعت أن تبحر على سفينة أسبانية بصفتك بحارا هولنديا ؟

ـ من غير الكابتن بلود يستطيع أن يفعل ذلك ؟

فهتف دى كولفان :

ـ يالهى ..

فقال بلود :

ـ ولكنى ارجو الا يمنعك ذلك من أن تقدم الى طعاما .

فقال ماكارتى :

ـ ستجد فى سفينتى كل ماتحاج اليه من طعام ..

ـ شكرا لك .. فقد طلبت ضيافة مسيو دى كولفان من قبل .. اعتمادا على خدمات أديتها لزوجته .

فقال ماكارتى :

ـ واذن فسأنتظرك حتى تتناول طعامك ..

فقال دى كولفان :

ـ تنتظره . ولماذا تريد أن تنتظره ياسيدى . ؟

ـ لكى أؤدى واجبى . والقى القبض عليه .. وأدفع به الى الجلاد ..

فظهرت على وجه دى كولفان علامات الاستنكار وصاح به ،

ـ تلقى القبض عليه . ؟ أنت تهزل بغير شك .. هذه ياسيدى أرض فرنسية .. ولا عمل لك فيها ..

ـ هذا صحيح .. ولكن يوجد اتفاق بين فرنسا وانجلترا على تبادل المذنبين وتسليمهم فى الحال .. وبحكم هذا الاتفاق ليس فى استطاعتك أن تمنع عن تسليم الكابتن بلود الى ..

ـ تسليمه اليك ؟ .. وهو ضيفى ؟ . أيسلم اليك الرجل الذى قدم الى تلك الخدمة النبيلة . ؟ ولم يجىء الا

بسببها ..

هذا لايمكن ياسيدى .

وهكذا اثبت دى كولفان لضيفة أنه لاتزال لديه بقية من الشرف والشهامة ..

قال ماكارتى فى هدوء :

ـ انى أتفهم وجهة نظرك .. وأقدرها .. ولكن الواجب هو الواجب .

ـ ان واجباتك لاتهمنى ياسيدى .

فقال ماكارتى بحدة :

ـ ياكولونل دى كولفان . انك ترغمنى على أن اذكرك بأن لدى من الوسائل ماأستطيع به انفاذ طلبى قوة وقهرا . وواجبى يحتم على الالتجاء الى هذه الوسائل عند الضرورة .

فصاح دى كولفان فى ذعر :

ـ ماذا ؟ ! أتهاجم برجالك أرضا فرنسية ؟ ! .

ـ سأفعل ذلك اذا أصررت على عنادك الذى لامبرر له .

ـ ولكن .. يا الهى .. ذلك يكون عدوانا قد يؤدى الى حرب بين البلدين .

فهز ماكارتى رأسه الكبير وأجاب :

ـ انه يؤدى الى تجريدك من وظيفتك فحسب .. لامتناعك عن تنفيذ الاتفاقات القائمة .

ثم ابتسم بخبث وأردف :

ـ ولعلى انك أصبحت فعلا فى مركز لاتحسد عليه .. بسبب حوادث الامس .

فتهافت دى كولفان فى مقعده ، وجفف العرق المتصبب على جبينه ، ثم نظر الى بلود كأنما ليستمد منه المعونة ، وهتف :

ـ حدثنى بالله ياسيدى ، ماذا أستطيع أن افعل ؟!

فأجاب بلود :

ـ يؤسفنى أن أقول لك أنه على حق .

وتثاءب وقال وهو يجلس :

ـ معذرة ، فقد قضيت الليل كله ساهرا .

ـ ولكن ماذا أستطيع أن افعل ياسيدى ؟! ماذا أستطيع أن افعل ؟!

فهز بلود كتفيه بقلة اكتراث وتثاءب مرة أخرى ، وأغمض عينيه ، كما يفعل المتعب المنهوك القوى .

ولكن عقله كان فى الواقع ، يعمل ، ويعمل ، ويفكر بسرعة .

علمته التجارب أن الضباط الذين يخدمون فى المستعمرات ينقسمون جميعا ـ وبغير استثناء ـ الى احدى طبقتين ، طبقة المفلسين ـ من أمثال دى كولفان ـ الذين بددوا ثرواتهم ، وطبقة الشباب الذين لاثروة لهم على الاطلاق ، فأراد أن يسبر غور ماكارتى وأن يعرف أى الطبقتين هو ، والى أى حد يبلغ اخلاصه لواجبه ، أو طمعه فى المكافأة .

قال محدثا دى كولفان :

ـ اذن فستدفع بى اليهم ياسيد دى كولفان ، وستتقدت الحكومة الانجليزية المكافأة التى وعدت بها ، وهى ألف قطعة ذهبية ؟

ففتح كل من الرجلين فمه فى دهشة .

قال بلود :

ـ أن الاتفاق الذى يتكلم عنه الكابتن ماكارتى صريح ، وهو ينص على منح المكافأة للشخص الذى يسلم المذنب الى السلطات البريطانية .

ونحن هنا فى أرض فرنسية ، وانت الذى ستسلمنى ياكولونل دى كولفان ، أما الكابتن ماكارتى ، فانه ممثل السلطات البريطانية ، وكل مهمته أن يتسلمنى .

ففر لون ماكارتى ، وسقط فكه ، وترددت أنفاسه بسرعة .

وحينئذ عرف بلود الطبقة التى ينتمى اليهـا هذا الضابط .

لقد أزعجه أن يتبدد حلمه الذهبى بمثل هـذه السرعة ، وأن تفلت الألف قطعة ذهبية من يده ، فى اللحظة التى خيل اليه كانها فى جيبه ، ومنعته كبرياؤه وكرامته من مناقشة هذه النقطة المادية .

على أن يأس ماكارتى لم يكن الظاهرة الشاذة الوحيدة التى ترتبت على ايضاح الموقف ، فقد تبدل كذلك حال الكولونل دى كولفان ، وكان التأثير عليه معكوسا ، اذ تهلل وجهه ووميض فى عينيه بريق الجشع .

ولم يكن بلود قد حسب حساب ذلك ، ولكنه ذكر فى الحال ماقالته مدام دى كولفان عن زوجها ، من أنه رجل مفلس ، مثقل بالديون ، وعجب ماذا تكون نتيجة الاطماع الشريرة التى أثارتها مسألة المكافأة ، وهل يستطيع أن يفيد من اصطدام هذه الاطماع ؟!

قال :

ـ ان الموقف صريح ياسيو دى كولفان ·· ولم يبق مايمكن قوله ، اننى انهزمت ، ويجب أن ياخذ القانون مجراه ·

ثم تثاءب وأردف :

ـ على اننى أكون شاكرا لك اذا قدمت الى بعض الطعام ·· واكون شاكرا للكابتن ماكارتى اذا امهلنى حتى المساء ، ريثما استريح ، وريثما ياتى برجاله ·

فنهض ماكارتى واقفا ·· وقال وعلى وجهه علامات الانكسار والهزيمة :

ـ حسنا ·· سأعود اليك فى الساعة السادسة ·

ثم تمهل عند الباب واردف :

ـ ارجو الا تحدثك نفسك بخداعى ياكابتن بلود ·

فأجاب بلود وهو يبتسم :

ـ بخداعك !! وكيف أخدعك ·· وليس لدى فراصنة أو اساطيل أو مدافع ، بل وليس لدى حسام كما لاحظت بنفسك ؟ !

ان الخدعة الوحيدة التى استطيع أن البا اليها ··

ولم يتم عبارته ·· بل استطرد بلهجة جدية :

ـ اصغ الى ياكابتن ماكارتى ·· ما دمت لاتستطيع أن تربح الف قطعة ذهبية بالقبض على ·· افلايكون من الحماقة أن ترفض الف قطعة ذهبية بالاعفاء عنى ؟ الف قطعة ذهبية لكى تنسى انك قابلتنى ؟ !

فاحمر وجه ماكارتى وصاح :

ـ ماذا تعنى بحق الشيطان ··

ـ لاتغضب ياعزيزى الكابتن ·· فكر فى الامر طيلة حتى المساء الف قطعة ذهبية نقدا وعدا ·

انك لاتربح مثل هذا المبلغ كل يوم ·· بل كل عام ·· فى خدمة ملك انجلترا ·· ولعلك ادركت الان انك لن تربح هذا المبلغ اذا قبضت على ·

فعض ماكارتى شفته ·· ونظر الى دى كولفان ·· ثم انفجر قائلا :

ـ هذه فكرة عجيبة ·· أتظننى اقبل هذه الرشوة ؟ ·· واذا ذاع الامر ·

فقاطعه بلود وهو يبتسم :

ـ هل ذلك كل مايزعجك ومن ذا الذى سيذيع الامر ؟ ان الكولونل دى كولفان يدين لى بالسكوت على الاقل ·

فقال دى كولفان :

ـ نعم ، على الاقل ·· على الاقل ·· لاشك فى ذلك ياسيدى ·

فراح ماكارتى ينقل البصر بين الرجلين وهو نهبة الاغراء ·· ثم هتف :

ـ ساعود فى الساعة السادسة ·

فساله بلود بخبث :

ـ وحدك ·· أو برجاله ؟

– هذه ·· هذه مسألة فيها نظر ·

وانصرف ··

ونظر بلود الى دى كولفان وغمز بعينه · قال :

– أراهنك على أنه سيأتى وحده ·

فأجاب دى كولفان :

– لاأستطيع أن أراهنك لاننى واثق من ذلك ·

– هذا مما يؤسف له · لانى لاأملك المبلغ المطلوب · ولا أعلم كيف أستطيع الحصول عليه ·· ولكن من المحتمل أن يقبل صكا أوقع عليه باسمى ·

– اطمئن · اطمئن · ولا تزعج نفسك فى هذا الصدد ·

فنظر بلود الى وجه محدثه · ورأى على شفتيه ابتسامة ·

ابتسامة كان يريدها على أن تكون ودية ·· ولكن بلود لم يطمئن اليها ··

قال الكولونل :

– تستطيع أن تتناول الطعام · وأن تذهب الى فراشك وأنت ناعم البال ياسيدى · سأتفاهم مع الكابتن ماكارتى هندما يأتى ·

– تتفاهم معه ؟ ! هل تعنى بأنك ستقرضنى المبلغ المطلوب ؟ !

– هذا أقل مايجب على عمله ياعزيزى الكابتن ·

وللمرة الثانية ·· نظر اليه بلود بامعان ·

ادهشه أن يتطوع دى كولفان لدفع المبلغ المطلوب ·

وأدهشه ذلك بالاكثر لانه يعلم أن الرجل مفلس · ومثقل بالديون ·

وتناول بلود طعامه ، وتمدد على الفراش الذى أعد له ··

ولكنه لم ينم ·· بل راح يستعرض دقائق الموقف ··

تذكر نظرة الجشع التى ارتسمت فى عينى دى كولفان حين سمع بامر المكافأة ·· ثم تذكر الابتسامة الملتوية التى تلاعبت على شفتيه حين قال انه سيتفاهم مع ماكارتى ·· وشعر من تجاربه ·· وعلمه بأخلاق الرجال ، أن دى كولفان ليس بالرجل الذى يوثق به ·· بل انه آخر من يوثق به من الرجال ··

كان يعلم أن (قيمته) مضمونة ·· كأنها تحويل مالى ·· فقد وضعت الحكومة الانجليزية ثمنا لرأسه ، ولكن الاسبانيين الذين يمقتونه ، ويضغنون عليه ، كانوا على استعداد لدفع ثلاثة أضعاف ، بل واربعة أضعاف هذا الثمن لكى يضعوا أيديهم عليه حيا ، فيحرقوه بنيران غضبهم وحنقهم ، ويثأروا لسفنهم ومستعمراتهم التى سطا عليها ··

فترى هل أدرك ذلك النذل دى كولفان أن الرجل الذى أنقذ عرض زوجته هو لقمة ثمينة يمكن تحويلها الى ذهب يصلح به من شأنه ، ويسدد به ديونه ·· ؟

اذا صح نصف ماقالته مدام دى كولفان عن زوجها ، فان الرجل لايمكن أن يتردد فى بيع ضيعته وسفنه امرأته لسد حاجته ، والخروج من افلاسه .

وكان بلود كلما فكر فى الامر ، وقلب بوجوه الرأى ، زاد قلقه وتضاعفت همومه ..

أدرك أنه انزلق هذه المرة فى ورطة لامخرج منها .. وسأل نفسه : الا يكون من الحكمة أن ينهض رغم تعبه ، ويتسلل الى الخارج .. وينطلق الى الميناء ، ويفوز بالفرار فى القارب ؟

ولكن الى أين يذهب .. وجميع المستعمرات القريبة اما انجليزية واما أسبانية ..

لو كان لديه فقط مبلغ من المال يدفعه أجرا لسفينة تلتقطه فى عرض البحر ؟ مبلغ كاف يمنع قبطان السفينة من القاء الاسئلة .. ويغريه بنقله الى « تورتوجا » ؟

ولعن الحملة التى قام بها على مصايد اللؤلؤ فى (كيركاو) وكانت سببا فى ابعاده عن رجاله .. وأسطوله .

شعر أن النوم يريح جسمه المتعب وعقله المكدود .

واستيقظ من غفوته قبيل الساعة السادسة ، فغادر الفراش .. وارتدى ثيابه .

وما كاد يفعل ذلك .. حتى حمل اليه النسيم من خلال النافذة صوتا عرف فيه صوت ماكارثى .

ثم سمع صوت دى كولفان وهو يقول :

ـ تفضل بالدخول ياسيدى .. تفضل بالدخول ..

وتنفس بلود بارتياح .. لانه استيقظ فى الوقت المناسب .

فتح الباب ببطء وهدوء ، وهبط السلم فى حذر .. ولم يصادفه أحد .

وانتهى الى قاعة الطعام .. وانصت ببابها فسمع لغطا بعيدا ، وعلم أن الرجلين يتحدثان فى الغرفة المتفرعة من قاعة الطعام .

نظر حوله ، واطمأن الى أن أحدا لايراه ، ثم فتح الباب ، واجتاز قاعة الطعام .. وانصت بباب الغرفة المجاورة .

سمع دى كولفان يضحك ويقول :

ـ كن مطمئنا ، فهو فى قبضة يدى ، ان أسبانيا ـ كما قلت أنت ـ على استعداد لان تدفع ثلاثة امثال هذا الثمن ، وربما أكثر ، لذلك يجب أن يكون الكابتن بلود على استعداد لافتداء نفسه بخمسة آلاف قطعة ذهبية على الاقل .

وصمت لحظة ثم قال :

ـ الفارق بيننا ياكابتن ، هو أننى استطيع مطالبته بأن يفتدى نفسه ، أما أنت فلا تستطيع ذلك بالنسبة الى مركزك كضابط انجليزى . فمن الحكمة اذن أن تقنع بالالف قطعة ، وتذهب فى سبيلك .

فهتف ماكارثى .. وكأنما أغاظه أن يخرج دى كولفان بنصيب الاسد :

– يالهى ، أهكذا تدفع دينك للرجل الذى انقذ حياة زوجك وشرفها ؟ يسرنى فى الحق اننى لاأدينك بشىء ·

فقال دى كولفان ببرود :

– أرجوأن تحتفظ بآرائك فى هذا الصدد لنفسك ·

– اذن انقدنى المبلغ ·· لاذهب فى سبيلى

وسمع بلود صوتا كالذى ينبعث عن نقل صرة النقود من مكان الى آخر ·

قال دى كولفان :

– لجد خمسمائة قطعة فى كل حقيبة من هاتين الحقيبتين

هل تريد ان تحصيها ؟ !

فساد الصمت لحظة اخرى ·· ثم قال ماكارتى :

– لا ضرورة لذلك ··

– أكون شاكرا اذن لو تفضلت بتوقيع هذه الورقة

– أية ورقة ؟ !

– دعنى أتلوها عليك ··

وتلا دى كولفان :

« أعترف بهذا اننى تسلمت الف قطعة ذهبية من الكولونل دى كولفان ·· لقاء اغضائى عن اعتقال الكابتن بلود ·· وأعد بالا أتخذ اى اجراء لاعتقاله ، طالما هو فى

ضيافة الكولونل بجزيرة (ماريجالانت) » ·

وسكت دى كولفان ·· وانفجر ماكارتى ··

صاح :

– ماعدا يا كولونيل ·· أنت امامجنون ، واماتظن اننى مجنون

– لماذا ياسيدى ·· هل تتضمن الورقة ما يخالف الواقع ؟؟

فضرب ماكارتى المائدة بقبضة يده وصاح :

– انها تضع الحبل حول عنقى ·

– فقط فيما اذا اردت أن تخدعنى ·· والواقع ماذا يضمن لى انك تبر بوعدك بعد أن أنقذك المبلغ ؟ !

فصاح ماكارتى فى غضب :

– اننى رجل شريف ·· ويجب أن تثق بوعدى

فقال دى كولفان فى تهكم :

– وعدك ؟؟ كلا يا سيدى · ان وعدك لا يكفى ··

– هل تقصد الى اهانتى ؟ !

– كن عمليا يا كابتن · وسل نفسك ، هل تقتنع ، اذا كنت فى مركزى ، بوعد رجل يلعب فى ذات الصفقةدور الخائن ؟ !

– الخائن ؟ ! ماذا تعنى بحق الشيطان يا سيدى ؟ !

ـ الم تقبل هذا المبلغ على سبيل الرشوة ؟!! . اليس الارتشاء خيانة للواجب ؟ .

ـ ما أعجب أن اسمع هذا الكلام منك ..

ـ أنت صريح الى حد القحة يا سيدى .

وساد صمت طويل .. قطعه ماكارتى أخير ابقوله :

ـ لن أوقع على هذه الورقة .

ـ بل يجب أن توقع عليها اذا اردت الحصول على المبلغ ؟ . ولكن ماذا تخشى ياعزيزى الكابتن . انني اعدك بأن ..

ـ تعدنى .. وهل وعودك أفضل منى ؟ !

ـ ان ظروفنا تجعلها أفضل . فليس هناك مثلا ما يغريني بنقض هذا الاتفاق . أما انت .. ففى استطاعتك فى كل وقت أن تنتزع الكابتن بلود منى قوة وقهرا .

وادرك بلود ان ماكارتى مادام لم يصفع دى كولفان للاهانات المتعاقبة التى يصبها عليه .. فان الامر سينتهى حتما بخضوع ماكارتى ..

وقد صحت ظنونه . فانه سمع الضابط الشاب يصيح فى غضب :

ـ اعطنى القلم ..

ولم ينتظر بلود اكثر من ذلك وحول بصره الى

النافذة التى تطل على الحديقة ..

كانت الشمس قد غابت وراء الافق وبدا الظلام يرخى سدوله .

وثب من النافذة بسرعة . وخفة . وتوارى بين لفائف الاشجار .

ثم استل خنجره . وراح يقتطع بعض الاغصان والاعشاب ويشد بعضها الى بعض .

وانصرف ماكارتى من المنزل ، واحدى العقيبتين فى يمناه والاخرى فى يسراه ، وسار فى الحديقة وهو يترنم بانشودة غرامية ..

ومر وسط طائفة من أشجار النخيل ..

وفجأة . ارتطمت قدمه بشىء مشدود بين شجرتين ، فتعثر وسقط على وجهه ..

وعندما هم بالنهوض ، احس بجسم ثقيل يهبط فوقه ، وسمع صوتا رقيقا يقول بالانجليزية :

ـ ليس لدى فراصنة ، ولا أساطيل ، ولا مدافع ، بل وليس لدى حسام كما لاحظت ذلك بنفسك يا كابتن . ولكن لايزال لى عقل ويدان وهى تكفى لمحاسبة وغد مثلك ..

فهتف ماكارتى وهو يكاد ان يختنق :

ـ سيكون جزاؤك الشنق يا كابتن بلود . أؤكد لك ان

سيكون جزاؤك الشنق ..

وأراد أن يدافع عن نفسه ، ولكنه لم يستطع تجريد حسامه ، فمد يده لاخراج غدارته ، ولكن بلود قد سبقه اليها .

قال :

ـ هل لك أن تلزم الصمت فى الحال . أم يجب بأن ألهب دماغك ؟

ـ أيها الخائن القذر ، أيها القرصان الندل ، هل هكذا تفى بوعدك .. ؟

ـ أنا لم أعدك بشىء أيها الاحمق . انك أبرمت صفقتك مع دى كولفان ، ولم تبرمها معى ، وهو الذى أعماك بالرشوة عن واجبك .

ـ يالك من كلب كاذب .. انكما وغدان زنيمان .. وقد تآمرتما بى

فأجاب بلود :

ـ هذه اهانة لا اسمح لك بأن ترمينى بها .

قال ذلك وأهوى بمقبض الغدارة على رأس ماكارثى .. فأفقده الرشد ..

وحمله الى مكان مظلم بين الاشجار .. وشد وثاقه

بحبل صنعه من العشب وتسالل النخيل .. وكمم فمه بمنديل

وفتح ماكارثى عينيه فى هذه الاثناء .. وحملق نحوه فى الظلام

قال بلود :

ـ كن مطمئنا . أنا صديقك القديم الكابتن بلود .. وسوف أتركك لتقضى ليلتك هنا .. ومتى قابلت دى كولفان قابلغه تحيتى ، وقل له ان الكابتن بلود لا ينسى

طاب مساؤك

وحمل حقيبتى الذهب .. وانصرف من الحديقة تحت جنح الظلام . وقصد لتوه الى الميناء . ووجد القارب حيث تركه .. فوثب اليه .. وحاول جهده الا يلفت اليه الانظار

ثم أعمل المجذاف فى الماء .. فانطلق القارب يشق طريقه وسط الامواج .. وما لبث أن غاب عن الابصار

ووصل قبل الفجر الى جزيرة « جراندتير » .. أكبر جزر « جواديلوب » فقبع هناك التماسا للراحة .. وانتظر حتى أشرقت الشمس .. فيمم شطر ميناء « بوردى مول » .

ووجد أربعة سفن راسية فى الميناء .. ففحصها بعين

الخبير . واختار من بينها سفينة سوداء ضخمة ، تدل رايتها على أنها هولندية .

قصد الى هذه السفينة بجرأة . وارتقى سلمها . وقابل ربانها

قال له :

ـ انني أريد الوصول الى مسبانيولا الفرنسية بأسرع ما يمكن . وسأنقدك الاجر الذى تطلبه

فنظر اليه الربان بارتياب . وصعده من قمة رأسه الى أخمص قدميه ثم هز كتفه وأجاب :

ـ اذا كنت راغبا فى الاسراع فابحث عن سفينة أخرى

انى اقصد الى (كيركاو) .

ـ قلت لك على اننى على استعداد لان ادفع لك الاجر الذى تطلبه .

سأنقدك ألف قطعة ذهبية .. واكبر ظنى أن هذا المبلغ يعوض عليك الفائدة التى ترجوها من رحلتك الية (كيركاو) .

فهتف الربان الهولندى :

ـ الف قطعة ذهبية ؟

ولم يصدق أذنيه .

كان هذا المبلغ يعادل ثلاثة امثال الفائدة التى يرجوها من رحلته

فسأله :

ـ من انت يا سيدى ؟؟

فأجاب بلود :

ـ وما اهمية ذلك ؟؟ انني شخص سينقدك الف قطعة ذهبية ..

فحك الربان رأسه وسأل :

ـ وهل تدفع سلفا ؟؟

ـ سأدفع النصف سلفا . والنصف الاخر عند نهاية الرحلة ..

ولك أن تسبقينى بالسفينة حتى تنال أجرك .

ـ حسنا .. سنبحر هذا المساء ..

فقدم اليه بلود احدى الحقيبتين . وكان قد افرغ محتويات الحقيبة الاخرى فى انية الماء لكيلا يثير الذهب الكثير جشع الربان ..

وبعد اربعة ايام . كانت السفينة الهولندية تمخر عباب البحر بين مسبانيولا وتورتوجا . فاعلن (بلود) عزمه على مغادرتها .. ونقد الربان أجره . وقصد بقاربه

الصغير الى تورتوجا ٠

وهكذا عاد بلود الى اسطوله بعد أن يئس رجاله من عودته

وبعد شهر ٠٠ تحرك الاسطول بجميع قطعه ٠ قاصدا الى (باستير) ٠

كان فى نية بلود أن يصفى حسابه مع الكولونل دى كولفان ٠

وفى صباح أحد الايام ٠٠ استيقظ أهل (باستير) ٠ فاذا بالميناء خمس سفن ضخمة قد صوبت مدافعها الى المدينة ٠

ولم يكن اهل المدينة ورجال حاميتها قد نسوا التجربة القاسية التى استهدفوا لها منذ شهر ، فأقبل الحاكم بنفسه للتفاهم مع قبطان القراصنة حقنا للدماء ٠

ولشد ما كانت دهشة الكابتن بلود ، حين وجد أن الحاكم رجل آخر غير دى كولفان ٠٠

وأوضح له الحاكم الجديد ـ مسيو كانكير ـ ما حدث ، فقال أن (دى كولفان) استدعى الى فرنسا منذ أسبوعين ، وانه عزل من منصبه ووالقى فى السجن ٠

وتنهد بلود عندما سمع هذا النبأ وقال :

ـ هذا أمر يؤسف له ، فقدكنت أريد أن أقول له كلمة ،

وأن أصفى معه حسابا ٠

فقال مسيو كانكير وهو يبتسم :

ـ حساب الالف قطعة ذهبية ٠

ـ يخيل الى أنك تعرف ما عنالك ٠٠

فقال الحاكم :

ـ عندما جاء القائد العام للجيوش الفرنسية فى أمريكا الى (باستير) ليوضع تقريره عن الغارة الاسبانية ، اكتشف أن الكولونل دى كولفان قد اختلس الف قطعة ذهبية من خزانة المستعمرة ، ووجد الدليل على هذا الاختلاس ٠ والدليل هو صك بالمبلغ بامضاء ضابط انجليزى يدعى الكابتن ماكارتى ٠

وأوضحت هذه الكلمات لغزا لم يهتد الكابتن بلود من قبل الى حله ٠٠

هتف :

ـ ثبا للتعس ٠٠ انن فقد دفع هذا المبلغ من أموال الدولة ؟

ـ نعم ٠٠ والسرقة هى من الجرائم المعيبة كما تعلم ؟؟

ـ نعم ٠٠ نعم ٠٠ انني أعلم ذلك بالتجربة ٠

ـ عسكين مسيو كولفان ٠ أكبر ظنى أنه سيقضى بقية

حياته في السجن ..

ـ أرجو أن توفر دموعك .. لتسكبها اشفاقا على من يستحقها ..

ـ وفي اعتقادي ان مصير الكابتن ماكارتي لن يكون افضل من مصيره ..

ـ ماذا تعني ؟ !

ـ لقد أرسلت الورقة التي وقعها باسمه الى السلطات ذات الشأن في الحكومة الانجليزية ..

تمت

www.liilas.com
منتديات ليلاس
florist

اطرائيزة توم بوماردر

تأليف كاتب انجليزي كبير

يكتب في مجلة ايرع الاسرار

الكاتب الانجليزي

رمسول كاري

ثمن النسخة ١٠ قروش

أجرة الشحن مع الباقة

العدد ٥٠ بمجموعة بصدوره ١٠ قروش